روايات الهلال

الأستاذة منار

http://arabicivilization2.blogspot.com
/Amly

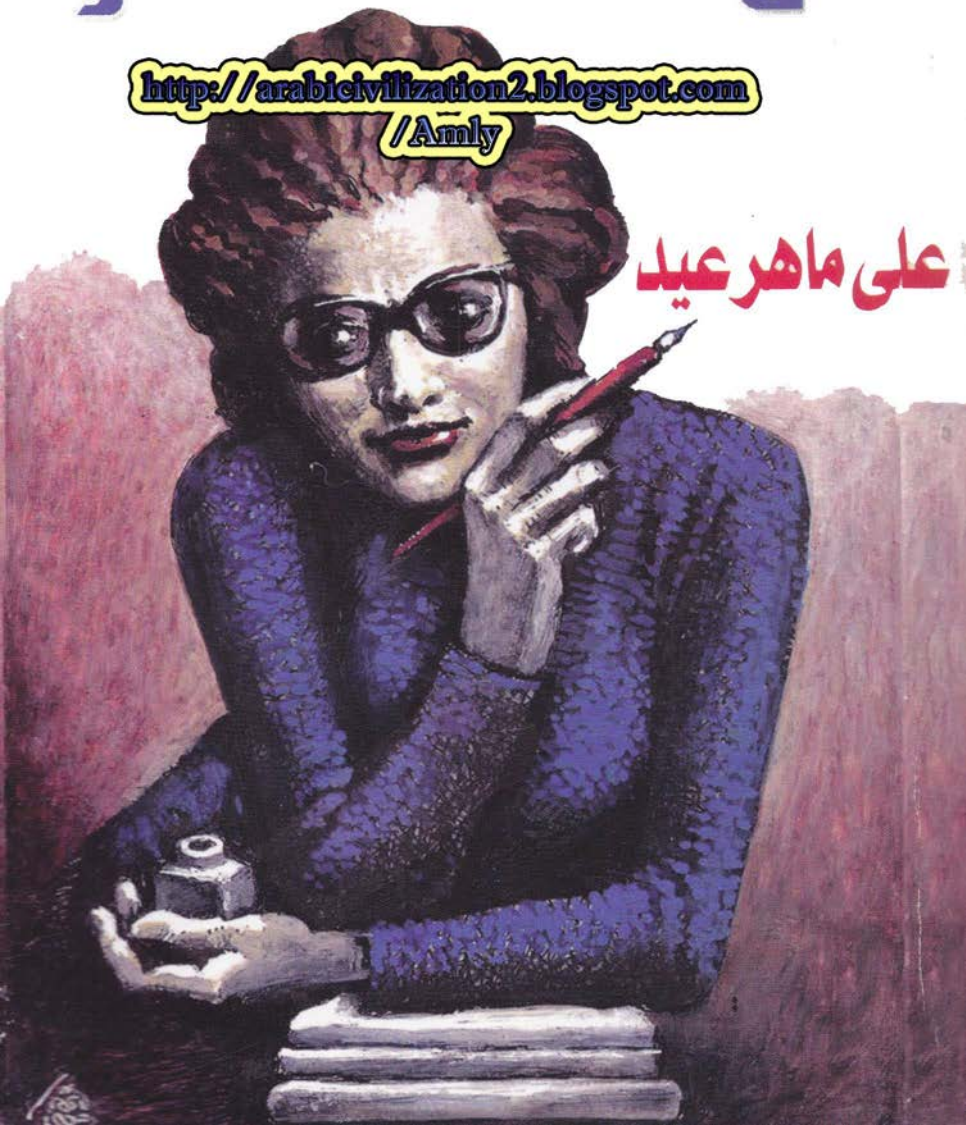

على ماهر عيد

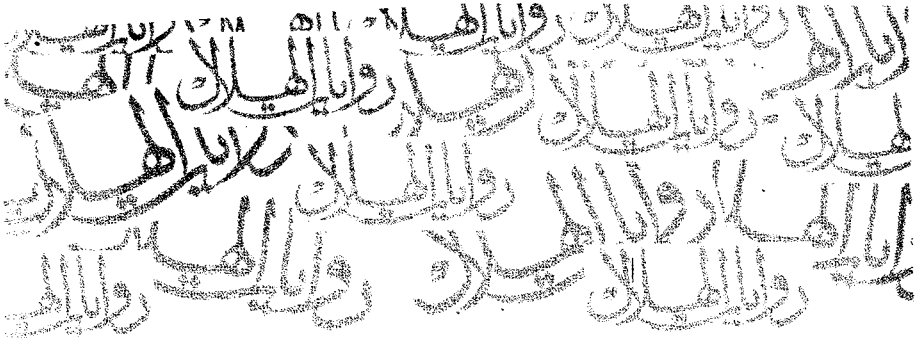

روايات الهلال

سلسلة شهرية لنشر القصص العربى والعالمى
تصدر عن مؤسسة دارالهلال

رئيس مجلس الإدارة
عبد القادر شهيب

رئيس التحرير
عادل عبد الصمد

المستشار الفنى
محمد أبو طالب

المدير الفنى
محمود الشيخ

سكرتير التحرير
هالة زكى

روايات الهلال
الأستاذة منار

الغلاف :
محمد حجى
رسومات داخلية
جمال عبد النبى

الإصدار الأول
يناير ١٩٤٩

العدد الحالى
نوفمبر ٢٠٠٩م
ذو القعدة ١٤٣٠هـ
هاتور ١٧٢٦ق

ثمن النسخة
سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - الأردن ٢٢٥٠ فلس - الكويت ١،٢٥٠ فلس - السعودية ١٢ ريالا البحرين ١،٢ دينار - قطر ١٢ ريالا - الإمارات ١٢ درهما - سلطنة عمان ١،٢ ريال - اليمن ٤٠٠ ريال - المغرب ٤٠ درهما - فلسطين ٣،٥ دولار - سويسرا ٤ فرنكات - السودان ٣،٥ جنيه

البريد الإلكترونى
darhilal@idsc.gov.eg

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي (١٢عددا) ٦٠جنيها مصريا داخل (ج. م. ع) تسدد مقدما نقداً أو بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد العربية ٣٥ دولارا - أمريكا وأوروبا وآسيا وأفريقيا ٥٠ دولارا - باقي دول العالم ٦٠ دولارا. القيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دارالهلال .

بريد الاشتراكات
Email ; subscription_dep@yahoo.com

الإدارة
القاهرة:
١٦ شارع محمد عزالعرب بك (المبتديان سابقا)
ت: ٢٣٦٢٥٤٥٠ (٧خطوط).
المكاتبات:
ص.ب: ٦١ العتبة - القاهرة
- الرقم البريدي ١١٥١١ -
تلغرافيا: المصور - القاهرة
ج. م. ع.
تلكس:
Telex 92703 hilal u n
فاكس:
FAX: 3625461

Amly نهضة العرب

الأستاذة منار

تأليف
على ماهر عيد

الحائز على جائزة الدولة القطرية فى الرواية

دار الهلال
٢٠٠٩

Amly نهضة العرب

إشراف : محمود قاسم

الخطوط : محمد العيسوى

رقم الإيداع :٢٠٦٤٣ / ٢٠٠٩

الترقيم الدولى :I . S . B . N 977-07-1378 -3

الإهداء

إلى ابنتى منار

فقد ألهمتنى شخصيتها

أحداث هذه الرواية

واختلطت صفاتها

بصفات البطلة الحقيقية

على ماهر عيد

http://arabicivilization2.blogspot.com
Amly

١- عودة منار

وقف إيهاب فى شرفة منزله يرقب الطريق المتعرج، وقلبه مثقل بأمنيات غامضة. جدول الماء القريب يشحن نسمات الخريف بالهمسات الملتاعة فيكسبها حُرقة الشجن. الطريق المظلل بالأشجار التى هجرتها العصافير. تخلخل السكون (المسيطر على المكان) بصوت حوافر حصان، من بعيد ظهر حنطور. نظرات إيهاب تخترق الأفق فى محاولة لمعرفة القادم. نظرات إيهاب تحلق حول الحنطور.

الحوذى يبتسم، والحنطور يقترب، ضربات قلبه متصاعدة ومتسائلة: هل هى منار؟! نعم، إنها هى أخته الحبيبة التى تدثره بالحنان والعطف. هى الملاذ، والركن الحصين فى عالمه المضطرب. استجابت منار لندائه بأن تعود من الكويت، فهو فى أشد الاحتياج إليها، بعد أن رقد الأب فى الفراش مريضا. عاصفة من الأشواق هبت على صحراء قلبه، وفاضت عواصفه الحبيسة فأطلقت دموعه معبرة عن شوقه للفرح والأمان.

خرج إيهاب، وود لو جرى ليحضن أخته منار، فهى الملاذ الآمن والعش الدافئ والأخت الكبرى والوحيدة.

بصوت متقطع نادى: مبروكة... خالة مبروكة، منار حضرت.

وزحف بجسده النحيل إلى الطريق وشلل الأطفال فى ساقه اليسرى يعوق حركته ولا يعوق أشواقه.

- إيهاب أخي... حبيبي.

فى حضنها الدافئ شعر بالأمان، فسالت الدموع بغزارة.

- منار... أختى حبيبتي.

- أنا معك يا إيهاب... لماذا تبكي؟!

- من الشوق و... و... والفرح... لمجيئك.

- هيا نرى أبانا.

★★★

وجودها رصّع المشاعر بالدفء والحميمية، لمعت الفرحة وتقافزت فى وجه الأب الراقد معلنا استسلامه اليائس أمام أمواج القدر الهادرة. تشبث الأب بها، وكأنه سفينة غرقى وجدت شط الأمان فجأة. رحلت الأم... فعم الظلام حياته، ونسج عنكبوت الحزن خيوطه حول روحه. لم يعرف قيمتها إلا بعد رحيلها. وجودها.. كان يعده بالأمان والألفة وثبات الأشياء. وبرحيلها انهد جدار، ومات عصفور وأجدب حقل.

أدركت منار أن الحزن يرفع راياته السوداء فى أرجاء المكان قررت أن تنزعها، لتزرع بنور الفرح. فأسرعت بفتح الحقائب لتقدم لأبيها عباءة فاخرة، ولأخيها عددا من القمصان والبنطلونات والألعاب الإلكترونية، وانطلقت تثرثر بالكلام عن حياتها فى الكويت.

ونظرات أبيها تتأملها- نظرات تنطق بالرجاء.

ملأت صوتها حنانا وقالت لأبيها: هيا قم لأرى العباءة عليك.

بصوت واهن يرفض منحة الفرح قال الأب: دعينا الآن.

- لن أتركك.

اقتربت كثيرا من أذنه وهمست: هيا... من أجل إيهاب. نظر الأب إلى ابنه فوجده هزيلا... قصيرا... نحيلا كأنه طيف.

تذكر همسات حانية تتأهب للذبول: خذ بالك من إيهاب. همسات زوجته التى رحلت وكسرت مجدافه.

- هيا يا أبي.

استسلم لها، شعر بذهول من تماسك ابنته، ومواجهة رحيل أمها بإرادة ارتفعت بها فوق الحزن والضعف. لبس العباءة، أمسكت منار بيده، وقالت له: هيا لترى نفسك أمام المرآة.

- و... وأنا... يا أبلة؟

صوت إيهاب ممتلئ بالفرح بثيابه الجديدة ولكن نطقه متقطع قبلته منار، وهى تقول: أنت شاب وسيم.

Amly نهضة العرب

والأب يراقبها، واستقر فى وعيه صوت يهمس: من رحمة ربى أنه أعطانى منار. وبرغمه شعر بالإعجاب والإكبار لها. فتوجه للمرآة ليرى نفسه فى العباءة الفاخرة.

وانهمكت منار فى شرح طريقة استعمال الكاميرا (آلة التصوير) التى أحضرتها لإيهاب حسب طلبه لإشباع رغبته فى التصوير.

★★★

٢- عام جديد

أنفاس الصباح الوليد المسربلة بالأمنيات أيقظتها. فتحت منار النافذة واستنشقت الهواء الطازج المتحرر من كمائن التلوث.

خطواتها بدأت فى بعث الحياة السارة فى محاولة لطرد الركود البليد المعشش فى أركان البيت. توضأت، وصلت، وغسلت روحها بنور الآيات القرآنية. ذهبت إلى حجرة إيهاب.

- قم يا أخي، اليوم أول العام الدراسي، هيا لترى مدرستك الإعدادية.

نظراته عانقت وجهها الفرح، وابتسم، وهمّ بالقيام، ثم توقف، هناك شيء طارئ جمّد حركته.

لاحظت منار نظراته المتأرجحة الذاهلة.

- ماذا بك يا حبيبي؟!

- لا... لا شيء.

- هل أنت خائف من انتقالك للمرحلة الإعدادية؟

- لا...، أرجوك... اذهبى الآن.

صوته واهن مخذول، وأيضا متقطع كأنه يجد صعوبة فى النطق. لم تملك إلا الانصراف، وسهام الشك تهدد أمنها.

ذهبت إلى حجرة أبيها. وجدته جالساً يقرأ القرآن. ابتسم عند رؤيتها، بادلها التحية، وأمطرها بالدعاء فأثلج صدرها.

- هل استيقظ إيهاب؟

- نعم.

- لا أسمع حركته.

علّق الأب.. كادت منار تفصح عن شكوكها لكنها قررت أن تكتشف الأمر، وتتأكد من ظنونها.

★★★

Amly نهضة العرب

إيهاب ينظر إلى ملاءة السرير مذعورا. ما هذا؟! هل عاد إلى طفولته مرة أخرى؟! كيف بلل فراشه؟! يا للهوان!!.. ألا تكفي عيوبه في الحركة والنطق!! أسرع، ونزع الملاءة من فوق المرتبة، استبدل ملابسه، وهو يشعر بضعف، وأنه كائن مخذول.

★★★

دخلت منار حجرة إيهاب، ووقعت نظراتها على المرتبة المبلولة، مما أثار تفكيرها، وتساؤلاتها عما أوصل أخاها إلى هذه الدرجة؟! وهو كان لا يعاني من شيء وهي بجانبه.

هل هو موت الأم؟ إنه حدث قاس على صبي ارتبط كثيرا بأمه، فهي كانت فردوسا من الحنان ينشر أريجه على الجميع. وقد تكون سلبية الأب وضعفه سببا آخر. وتأكدت أن أخاها يحتاج إليها لتعيد إليه التوازن النفسي.

★★★

في طريقه لركوب الحنطور رأى ابن عمه فيصل يركب دراجته وينظر إليه شذرا. تحاشى نظراته، وركب بجانب أخته التي لاحظت تجهمه، فابتسمت له قائلة: ابتسم يا أخي فهذا أول يوم لك في مدرستك الجديدة. صمت، والوهن يسيطر عليه بالرغم من فرحه لوجودها معه. نظرات منار تلاقت بنظرات فيصل المصوبة نحوهما.

صاحت مبتسمة: صباح الخير يا فيصل.

انطلق بدراجته ولم يبادلها التحية.

لم تهتم منار، وقالت للحوذي: اذهب بي إلى المدرسة الثانوية للبنات، ثم خذ إيهاب إلى المدرسة الإعدادية.

★★★

اندفع التلاميذ في الطرقات بحثا عن حجرات الدرس. خطواته بطيئة ثقيلة متأرجحة، وتعمد أحدهم أن يدفعه فسقط إيهاب أرضا بسبب قصر ساقه اليسرى. ضحك التلاميذ ساخرين، نظراته العاجزة تلاقت مع نظرات فيصل الساخرة، وأدرك أنه هو من دفعه أرضاً.

امتدت يد تساعده، فنظر بضيق إلى صاحبها، وقال غاضبا وبصوت متقطع: أ... أ... أنا... أنا أقف وحدي، لا أريد مساعدة... من أحد.

الصبى الذى مد يده للمساعدة لم يغضب، ولم يعلق. ولاحظ إيهاب أن الصبى كبير الحجم، كما لاحظ وجود شعيرات صغيرة تحاول رسم شارب تحت أنفه.

وقف إيهاب، وتحرك بحثا عن فصل أولى ثالث إلى أن وجد الحجرة المطلوبة. كل المقاعد احتلت بالتلاميذ المتسابقين للجلوس.

هو آخر من دخل الفصل. تحرك متثاقلا إلى آخر الفصل، وجد مكانا خاليا، وتلميذاً يشير إليه. إنه نفس التلميذ كبير الحجم الذى حاول مساعدته. جلس بجانبه، قال التلميذ: اسمى محفوظ عبد التواب.

همس إيهاب وكأنه يعتذر: اسمي... اسمى إيهاب إسماعيل.

ترددت جملة عابثة قاسية صكت أذنيه.

"التقى المتعوس مع خائب الرجاء"

أدرك إيهاب أن هناك أكثر من قائل تطوع بالقول معلقا على جلوسه بجانب محفوظ. نظر إيهاب نحو محفوظ متفحصا... كأنه يقرأ تفاصيل وجهه أو باحث عن نوع شخصيته.

ولذهوله قرأ انكسارا عجيبا فى وجه التلميذ الضخم، فشعر بتعاطف نحوه، وغمره سرور مفاجئ لجلوسه بجانب محفوظ.

التزم إيهاب الصمت فى محاولة لتفهم ما يدور حوله والإمساك بخطوط الأيام المقبلة.

★★★

نهضة العرب

Amly

٣- متاعب منار

نظرات التلاميذ المصوبة إلى داخل الحنطور أصابت كبرياءه بالجروح. ابتسامة منار تثير ضيقه.

سار إيهاب بخطواته العرجاء حتى وصل إلى الحنطور.

رفض يد أخته الممتدة لمساعدته.

التجهم صنع قناعا شوه وجهه الوسيم.

– ماذا بك يا إيهاب؟!

غرق سؤالها فى بحار صمت أخيها.

جلس بجانبها وهو يغوص فى الحرج والضيق.

منار ترفض أن يصادر أحد مشاعرها، أو يفرض عليها جوا من التوتر لا تعرف له سببا.

– ماذا بك يا إيهاب؟!

نظر إليها كأنه يرجوها أن تصمت، لكن إلحاحها فتح خزانة الكلام.

– لا، لا أحب... أن... تأتي... إلى مدرستنا.

لاحظت منار أن الكلام يحتبس خلف جدار نفسى يمنع أخاها من التعبير بسهولة.

عقلها يـ ـج، ويلاحـ، و ـ أخاها.

– لماذا؟!

– الأولاد... ينظرون إليك... ويعلقر

– وهل أرهن حياتى بما يريده الآخرون؟

عجز إيهاب عن فهم سؤال أخته، لكنه أدرك أنها تحتج، فقال بصوت واهن:

– هذا يحرجني.

– وأنا لا أقبل أن يحرجك أحد.

نظرت إليه فوجدته غارقا فى هدوئه المتوتر.

– لماذا لا تبتسم؟

– ولماذا أبتسم؟!

– هل أنت غير راض عن وجودى معك؟

– أنا؟!

– إذا كنت راضيا فابتسم.

– ك... كان... يومي... صعبا.

– لا تبحث عن المتاعب يا أخي، ولا تدع المشاعر السلبية تغزوك.

كلماتها كأنها أشعة تبدد الغيوم التى ملأت صدره.، وسأل كأنه يستزيد: كيف؟

– عندما نصل إلى البيت، احك لى عن كل ما يضايقك.

وأدركت منار أن أخاها يعانى كثيرا، وداخله مضطرب، وهذا هو السبب فى تعثره فى النطق، وأيضا فى تبوله فى فراشة.

إنه يفتقد الأمان، وعالمه مهتز، وغمامة ثقيلة من الأفكار السلبية تحجب عنه الرؤية الصائبة.

وعليها أن تطلق أمواجا من الضياء داخل كهوفه المظلمة لتطرد الخفافيش التى تهدد أمنه وسعادته.

★★★

وجدت أباها يجلس أمام البيت وعيناه تنظران إلى البقر والعجول والماعز التى تمرح فى الأرض الموجودة أمام المنزل.، كما توجد سيارات نقل كثيرة تقف فيها.

شعرت أن أباها يعرض نفسه لأشعة الشمس طالبا للدفء ولتقوية العظام.

رحب بها سائلا عن يومها الدراسى الأول.

دخل إيهاب إلى المنزل مسرعا، ولم يتجاوب مع أبيه.

أما منار فوقفت تتحدث معه، ولاحظت أن عينيه غير مستقرتين ونظراته متلهفة حول عربات النقل الكثيرة الموجودة فى الأرض الفضاء الموجودة أمام منزلهما.

العربات لها شكل واحد، مكتوب عليها اسم شركة كبيرة للأمن الغذائى وبين قوسين اسم صاحب الشركة عبد الرحيم باشا العوامري.

سألت أباها: هل هذه الأرض ملكنا أم ملك عبد الرحيم باشا؟

قال الأب بقوة، وكأنه ينفى شيئا: إنها ملكنا.

- ما الذى أتى بعربات عبد الرحيم العوامرى إلى هنا؟

- عمك يعمل معه.

- ماذا يعمل معه؟

- قد يكون مشاركا بجزء من رأس المال.

فى هذه اللحظة... جاءهما صوت أجوف غليظ يقول:

- كيف حالك يا منار؟

إنه حسنى ابن عمها الذى يطمع فى الزواج منها بالرغم من أنه لم يتخط المرحلة الإعدادية، وتفرغ لإدارة ثروة أبيه من الأبقار والعجول والإشراف على الزراعة.

رأت منار أن ترد عليه: الحمد لله.

ابتسم حسنى وقال بصفاقة:

- لماذا تتعبين نفسك فى التدريس؟! وكم يعطونك فى الشهر؟! ألم تكتفى بما أحضرته من الكويت؟!

شعرت منار أن مجرد وجود حسنى يجعل الحياة ثقيلة.

إنه لا يستحق عناء الرد عليه، فهزت كتفيها كأنها تنفض غبار كلامه، وتحركت للداخل، وهى تقول لأبيها: سأعد الغداء فورا.

★★★

نهضة العرب

Amly

٤- إيهاب ومحفوظ

الأيام الأولى فى الدراسة هزت نفسية إيهاب، وأسكنت الفتور واليأس أعماق قلبه لولا مساندة منار ودعمها المستمر له.

وجُملة (التقى المتعوس مع خايب الرجاء) التى أطلقها التلاميذ على تجمعه مع محفوظ فى مقعد واحد... لوّنت نظراته إلى محفوظ بالضيق والأحداث التى كشفت سلبية محفوظ وهشاشته... بل وجبنه جعلت ايهاب ينفر منه بعد أن كان متعلطفا معه.

فهو لا ينسى عندما ذهب فصلهم إلى مخزن المدرسة لاستلام الكتب ووقوفهم صفا... برئاسة فيصل، الذى طلب من محفوظ أن يقف فى آخر الصف فامتثل له بدون نقاش، وباستكانة غريبة حتى أن إيهاب ترك مكانه، ووقف خلف محفوظ وسأله: لماذا تركت مكانك؟

فنظر إليه محفوظ ولم يجب.

عاود إيهاب السؤال، وكأنه يهينه، فأجابه محفوظ بهدوء:

- جميعنا سنأخذ الكتب، فلا يوجد فرق بين أول الصف أو آخره.

قص إيهاب هذه الحكاية لأخته، فاستمعت إليه باهتمام وعلّقت: ندّعى الحكمة لنبرر جبننا.

لم يفهم إيهاب شيئا، فسألها الإيضاح.

فأجابته: هناك نوعان من الأخلاق، أخلاق القدرة وأخلاق العجز.

رأت الحيرة تهتز فى قسماته، فابتسمت وقالت له:

عندما تستطيع ضرب خصمك، وتعفو عنه، فهذه أخلاق القدرة.

وعندما لا تستطيع رد الاعتداء، وتدعى الحكمة والعفو عنه أو عدم مؤاخذته فهذه أخلاق العجز.

- الآن فهمت.

ورصد إيهاب عددا من المواقف لمحفوظ... تدل على أخلاق العجز.

ففي ذات مرة استخدم تلميذ "أستيك" كأنه "نبلة" وقذف فيصل بورقة، وعندما التفت فيصل ليرى الفاعل أشار أحدهم إلى محفوظ، وهو يضحك عابثا.

فذهب فيصل إلى محفوظ، ووجه إليه بعض الضربات، ومحفوظ يقول كلمة واحدة: لست أنا.

ولم يدافع عن نفسه، حتى أن إيهاب صرخ في فيصل، وقال له: تحقق أولا...، فهو ليس الفاعل.

فضربه فيصل وهو يقول هازئا: ولماذا تتدخل أنت يا تهته؟!

وعرف فيصل التلميذ العابث، فقال بدون اهتمام:

- محفوظ يستحق الضرب.

همس محفوظ: الله يسامحك.

اغتاظ إيهاب منه وقال: جبان.

نظر إليه محفوظ ولم يعلق.

احتد إيهاب وقال له: أنت أكبر تلميذ في الفصل، وتستطيع أن تضرب أي تلميذ في صفك، فلماذا تدعهم يعتدون عليك؟!

- الله يسامحهم.

- أخلاق العجز!!

- ماذا؟!

★★★

وعرف المدرسون هذه الصفة في محفوظ، فكانوا يستخدمونها في ضبط الفصل وإلزامه الهدوء.

والأستاذ "ملاحظ" مدرس الإنجليزي، كان أكثر المدرسين إيلاما لمحفوظ، بل وضربه، فيصمت التلاميذ خوفا.

ويهنئ الأستاذ «ملاحظ» نفسه على قدراته فى ضبط الفصل. ويهمس "اضرب محفوظ لكى يخاف الباقي".

بدلا من "اضرب المربوط يخاف السايب".

وازداد استبداد الأستاذ «ملاحظ» وجبروته عندما اكتشف أن محفوظ بطيء الفهم، وأنه رسب فى المرحلة الابتدائية أكثر من مرة، ولذلك فعمره يزيد بعامين عن باقى التلاميذ.

فكان يبدأ درسه بالسخرية من محفوظ، ويطالبه بإجابة السؤال "what is this?" ومعناه ما هذه؟

ويشير الأستاذ «ملاحظ» إلى طاولة.

فيجيب محفوظ (زز إز زتيبل)

يضحك الأستاذ ساخرا، ويقول: نطقك للإنجليزية يشبه حمارا يأكل بسكويته.

فيضحك التلاميذ ساخرين من محفوظ ومجاملة للمدرس وتشبيهه العبقري، وأيضا ليفرغوا التوتر الذى أثاره المدرس فى أعصابهم.

الوحيد... الذى كان يصمت، وهو يشعر بأن الهواء أصبح ثقيلا وخانقا، وأنه يعيش جوا كابوسيا... كان إيهاب.

ولم يغب شعور إيهاب عن وعى الأستاذ «ملاحظ».

فسأله سؤالاً صعبا، وهو ينعته بلفظ (أعرج).

أجابه إيهاب إجابة صحيحة، ولكن تقطيعه للكلام هو ما دعا الأستاذ للسخرية منه، وإضافة لقب آخر إليه.

فأصبحت حصة الإنجليزى كابوسا يتكرر كل يوم فى عالم إيهاب.

ونقل إيهاب طريقة الأستاذ «ملاحظ» لأخته منار؟ فشعرت بالغيظ والضيق من هذا الأستاذ.

وقالت: يجب أن يكون المعلم صحيحا نفسانيا أما هذا المدرس فهو مشوه نفسانيا.

قال إيهاب لها: إنه يهيننى.

صمتت منار، وهى تشعر أن الموقف أكبر من أخيها وأكبر منها أيضا، وقالت بعد تفكير: اسمع يا إيهاب، نحن لن نخلق الناس حسب رغباتنا، وتذكر أن هناك أيضا أساتذة فضلاء أليس كذلك؟

قال إيهاب ووجهه يشرق بابتسامة كبيرة:

- الأستاذ زيتون.

- من؟

- الأستاذ عبد الوهاب زيتون مدرس العربى... أنا أحبه... ، وكل الفصل يحبه.

- فى كل الأحوال تذكر أنه لا أحد يستطيع أن يهينك إلا إذا قبلت انت.

- كيف؟

- إذا أثر فى نفسيتك سلبا تكون قبلت الإهانة، هناك مثل يقول إذا ابتسم المهزوم سلب المنتصر فوزه.

ونابليون يقول: أنا رجل تستطيع أن تقتلنى ولا تستطيع أن تهيننى.

شعر إيهاب أنه يرتفع كثيرا على جناح كلمات أخته الحبيبة وأضمر فى نفسه ألا يقبل أى إهانة.

★★★

٥- الأستاذ زيتون

نظرات الأستاذ عبد الوهاب زيتون تقرأ وجوه التلاميذ وابتسامة حانية منتشرة فى وجهه، ثم أشار بيده واتسعت ابتسامته وهو يقول: جلوس.

ثم قال: أحب أن أتعرف بأبطال وعلماء المستقبل.

أنا اسمى عبد الوهاب زيتون... مدرس العربي.

سأكون أخا وصديقا لكم، وتعاملنا معا ستحكمه هذه العلاقة... علاقة الأخ الكبير بالأخ الصغير.

وبدأ فى استعراض التلاميذ، ومعرفة أسمائهم، حتى وصل إلى محفوظ وإيهاب فى الصف الأخير.

وعندما نطق إيهاب اسمه تصاعد الهمس، وتطاير لقب "تهته" فى جو الحجرة.

سأله الأستاذ: لماذا تجلس فى آخر الصف، وأنت صغير الحجم؟

ابتسم إيهاب، وكأنه يعتذر، ولم يجب.

- هل تحب الجلوس فى المقدمة؟

- لا.

قالها إيهاب، وكأنه يدفع خطرا.

فى باقى الأيام... لاحظ الأستاذ أن إيهاب ومحفوظ يغرقان فى الصمت بعكس الصف الأخير الذى لا يجلس فيه إلا المشاغبون.

فاستقر فى ظنه أن التلميذين لا يتمتعان بالذكاء، خاصة وأنه سمع تلميذا يقول عن محفوظ إنه متخلف عقليا.

دقق الأستاذ النظر فى وجه محفوظ فلم ير علامات تشير إلى تخلفه... لكنه تلميذ سمين وطويل، ووجهه مسربل بقناع يخفى كل المشاعر والخلجات.

أما إيهاب، فهو أحيانا... يرى وميضا ينطلق من عينيه.

وأحيانا يرى بوجدانه الذكى ووعيه الحاد صراعا قويا يترك خلجات غريبة فى وجه الصبى.

والمفاجأة كانت عندما صحح كراسات التعبير، ونظر إلى كراسة إيهاب غير مصدق، فالولد واسع الأفق، ويستخدم تعبيرات تدل على حساسية وذكاء وسعة اطلاع حتى أنه خشى أن يكون هناك من يكتب له، ورأى أن يتحقق من ذلك، أما محفوظ فكتابته سانجة لكن خطه جميل.

فى الحصة التالية نادى الأستاذ كل تلميذ، وأعطاه كراسته وهو يقول كلمة واحدة للجميع: أحسنت، وأريد الأفضل فى المرة القادمة.

وعندما تقدم إيهاب لأخذ كراسته، سأله الأستاذ:

- هل لك أخ كبير؟

تصاعد أكثر من صوت يقول: له أخت مدرسة.

قال الأستاذ بحزم: أنا أسأله هو.

أحنى إيهاب رأسه، وهو يقول: لى أخت.

- هل هى مدرسة؟

- نعم.

- تدرس أى مادة؟

- علم النفس والفلسفة.

عندما رأى تلعثمه، وخجله... قال وهو يمسك يده ويرفعها لأعلى:

- إيهاب كتب أحسن موضوع... وأتوقع له أن يكون أديبا كبيراً مثل نجيب محفوظ أو صحفيا مشهورا مثل هيكل.

شكراً يا إيهاب.

اندفع الدم إلى وجه إيهاب، وشعر بالفخر، والخجل.

وبدأ الأستاذ زيتون الدرس الجديد، وكتب على السبورة:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليـــل أن ينجلي ولابد للقيـــد أن ينكسر

أشار الأستاذ زيتون إلى فيصل وسأله: ما معنى الليل فى البيت الثاني؟

ضحك فيصل ضحكة... لا تحوى سوى الجهل والسخرية والحيرة وقال: كلنا ينام فى الليل.

- ألا ترى معنى آخر؟

- لا أعرف.

أشار الأستاذ إلى محفوظ: وأنت يا محفوظ... هل تعرف معنى آخر لليل فى هذا الشعر؟

ردد محفوظ بحيرة... وغباء: الليل... الليل... الليل... لا أعرف.

- اجلس يا محفوظ، من يعرف فليرفع أصبعه.

مر ضوء عينيه على الوجوه... فرآها مختفية... خلف أقنعة مختلفة... قناع الانشغال، أو البحث عن شيء آخر، أو الاختباء.

إيهاب يرفع أصبعا مترددا.

- هل تعرف يا إيهاب؟

- الليل هنا بمعنى ليل الاستعمار، وقد يكون ليل التخلف والجهل.

"الولد يجيب بفهم، وذكاء، وسعة اطلاع، لكن لماذا يتردد؟! ويقطع صوته، هذا الولد يعانى من ضغوط نفسية، وعدم ثقة فى نفسه، لماذا؟! وهو بهذا الذكاء، يجب أن يعامله بفيض من الحب".

- اجلس يا إيهاب، أنت حسن البيان، وذكى جدا وسأضمك لجماعة الإذاعة والخطابة.

أصوات كالغبار تعالت فى جو الحجرة، وضح منها كلمة "تهته" وهناك نظرات حاقدة من فيصل مصوبة إلى إيهاب، وأيضا نظرات إعجاب وغيرة من آخرين.

سمع الأستاذ زيتون لقب تهته، وتألم من التلاميذ الذين يتنابزون بالألقاب ورأى أن وجدانهم مشوه، ويحتاجون لتربية دينية.

وقال لإيهاب مشجعا: أنت تذكرني بالمازني يا إيهاب، أنت عبقري، ولك أن تفخر بنفسك.

جرعة من الكلمات الطيبة أثارت عطراً زكياً وسط سحب الكلمات الكريهة التي تفوه بها البعض.

شعر إيهاب بحب عميق للأستاذ زيتون، وحين مشاعره الهائمة وجدت منارة تهديها وتغسلها بالعطر والضوء.

عند خروجه في نهاية اليوم الدراسي، وجد الحنطور منتظرا طلب من محفوظ أن يركب معه، لكن الحوذي احتج بصفاقة، وهو ينظر إلى محفوظ شذرا.

نظر إيهاب للحوذي بقوة، وقال: إن لم يركب محفوظ، فلن أركب أنا.

- أنت حر.

وانطلق الحنطور مبتعدا، وإيهاب يتنفس بقوة وهو يشعر بالغضب وعيناه تتبعان الحنطور، وترسل شررا من النار.

أمسك محفوظ بحصاة، وقال لإيهاب لا تغضب، وانظر معي.

وضرب محفوظ الحنطور، فأصاب دائرة حمراء صغيرة مرسومة خلف الحنطور ابتسم إيهاب قائلا: أنت تجيد إصابة الهدف.

- وأنت كان يجب أن تركب.

- لا، لن أسمح لأحد بإهانة صديقي أو التقليل من شأنه.

قبله محفوظ ممتنا، وهو يقول له:

- أنت أخي وصديقي يا إيهاب، وأنا أحبك.

★★★

٦- قرار إيهاب

كان اليوم... يوم الجمعة... يوم الإجازة.

استيقظت منار، وهى تمد ذراعيها، وتحركهما... ثم اتجهت إلى النافذة، وفتحتها لتترك لأشعة الشمس تدفئة الحجرة وللهواء أن يمرح فى أرجاء الغرفة مجددا لجوها.

الهواء حمل إليها رائحة غير مستحبة... رائحة روث البهائم، ورأت عاملا يقدم الحشائش للبقر والماعز، كما رأت أباها يجلس أمام البيت يقرأ جريدة الأهرام.

دخلت حجرة أخيها، ونادته برقة...، وما إن فتح عينيه حتى قالت له من خلال ابتسامة كبيرة: ماذا تريد أن تفطر يا هوبة؟

ابتسم وهو يشعر بامتنان كبير لها... فهى الشمس المشرقة فى صقيع أيامه، وقال لها: كل ما تعدينه جميل مثلك يا أختى المهم أن آكل معك.

- قم، ورتب فراشك، واستعد للفطار.

ثم اتجهت إلى أبيها.

- صباح الخير يا أبي.

- صباح الخير يا منار.

- ماذا تقرأ فى الأهرام؟

- لا أجد شيئا يقرأ بعد أن تركه هيكل.

- لماذا؟!

- مقال هيكل "بصراحة" هو عنوان يوم الجمعة، وكان هيكل يصنع لى حيزا أليفا أعيش فيه فى هذه الدنيا.

ابتسمت منار من حديث أبيها مدرس العربى السابق.

قال أبوها: أنا رجل أحيا فى الماضي... حيث كل شيء آمن ومستقر... حتى المستقبل... كان مرسوما لكل منا.

Amly نهضة العرب

... أنا الآن لا أقرأ إلا إعلانات الوفيات.

– أبي... ألا ترى أن هذا الماضي قد مات في عام ١٩٦٧م.

– نعم... مات عندما مات رمزه وصانعه جمال عبد الناصر في خريف حزين... خريف عام ٧٠م، وكان من الطبيعي... أن يختفي هيكل، ويتركني وحدي.

– لست وحدك فنحن هنا، وابنك إيهاب هنا، والمهم ماذا تريد أن تفطر؟

– أي شيء يا حبيبتي... أنت شمس حياتنا.

★★★

في أثناء تناولهم الإفطار سألت منار أباها: الأرض التي أمامنا... ومستغلة لصالح عربات عبد الرحيم باشا العوامري...

– ماذا بها؟

– عندي حلم في بناء مدرسة خاصة عليها.

– مدرسة خاصة؟!

– نعم... أريدها مدرسة تربوية تبني شخصية الأولاد، بجانب تثقيف عقولهم، وتهذيب وجدانهم.

نبه إيهاب لحديثها، وقال: يا ليت يا أبلة!!

نظر الأب طويلا إلى ابنته وقال: أنت تحلمين كثيرا.

– لابد لنا من الحلم يا أبي لكي نستمر في الحياة.

– كان يجب أن تكوني رجلا.

– لا فرق بين الرجل والمرأة، لأنهم مخلوقون من نفس واحدة المهم... العمل والإنجاز يا أبي.

رنت الكلمة في عقل إيهاب، ولمعت عيناه بقوة.

★★★

كانت منار تقرأ فى رواية اللص والكلاب لنجيب محفوظ، وتتساءل لماذا جعل نجيب محفوظ بطل روايته لصا يحلم بالعدل؟! ألم يكن أجدر به أن يجعله شابا مستقيما يرغب فى العدل، أم هو خضع للواقع الذى كتب عنه واقع اللص محمود سليمان، لكن كاتب الرواية لا يخضع للواقع المعاش فهو يصنع واقعا آخر... هو الواقع الفنى المصنوع من مادة الحلم ورؤية الكاتب وتحليل للدوافع نفسيا وفكريا ليخلق وعيا جديدا للقارئ يحرره من الأوهام.

استيقظت منار من أفكارها عند سماعها صوت خطوات إيهاب والتفتت إليه مبتسمة، وقال لها وهو يقترب منها: د. طرد الحوذي.

بهدوء شديد، وضعت يدها على سحه، وسألته بود: لماذا؟

– غير مهذب.

– ماذا فعل معك؟

سألته، وهى تعرف ما حدث من وجهة نظر الرجل، لكنها رأت أن تسمع أخاها.

– لم يقبل أن يركب محفوظ معي، ورفض بشكل غير مهذب.

– من يكون محفوظ؟

– صديقي.

– اتفقنا مع الرجل أنْ أركب أنا وأنت فقط.

– وماذا يضير لو ركب محفوظ؟

– الاتفاق... اتفاق، وهو مُلزِم لأطرافه فقط.

– كان يجب أن يرفض بتهذيب.

– وهل طلبت أنت منه بتهذيب؟

– قال غاضبا: هل أنت معى أم معه؟

– أنا مع الحق، والغضب لا يحل مشكلة.

- أنا لن أركب هذا الحنطور.

اتسعت ابتسامة منار، وقالت له: تعوّد أن تقول وجهة نظرك بدون غضب، وبدون تهديد.

- انتهى النقاش، وأنا لن أركب الحنطور

- وكيف ستذهب إلى المدرسة؟

- سائرا على قدمي.

- ستتعب.

- لا يهم.

- هل تقبل أن يعتذر الرجل لك؟

- وهل يسمح بركوب محفوظ؟

- هذا يحتاج إلى اتفاق جديد.

- لن أركب.

- الأفضل أن تذهب صباحا فى الحنطور، وتعود سائرا مع محفوظ.

- على أن يعتذر الرجل.

- سأجعله يعتذر.

ترك الغرفة، ونظراتها تفيض إعجابا برجولته المبكرة.

★★★

٧- رئيس الفصل

يحرص الأستاذ إدوارد مدرس الرياضيات على أن يخصص وقتا للتلاميذ فى حل المسائل فى الفصل. وبدأ فى وضع فروض التمرين الهندسى على السبورة ثم كتب المطلوب، وقال: انظر دائما للفروض... وللمطلوب، ثم استنتج من الفروض استنتاجاً... يصل بك إلى الهدف أو يكون خطوة فى طريق الحل. وبدأ الأستاذ إخراج فيصل... فقال المفروض... وقال المطلوب وصمت بعد ذلك. ثم ازداد صمتا. وبدأت عبارات السخرية تتناثر فى جو الحجرة.

والتقط الأستاذ عددا من الساخرين، وأخرجهم ليحاولوا الحل... وحدث لهم ما حدث لفيصل. ثم مر ضوء عينيه على الصف الأخير فالتقط وميضا من عينى إيهاب، فأشار إليه طالبا منه الخروج.

خرج إيهاب بخطواته المتأرجحة، وتطايرت الهمسات المتبطة للعزيمة، والمذكرة بعجزه، والنظرات الحادة الموجهة لساقه اليسرى.

لم يهتم إيهاب، وأمسك بأصبع الطباشير، وأخذ يكتب الحل وهو صامت. تابعت نظرات الأستاذ خطوات الحل فوجدها مضبوطة ومرتبة ترتيبا منطقيا.

سأله الأستاذ: ما اسمك؟

بصوت خافت أجاب: إيهاب.

- ارفع صوتك يا بني، فأنت جدير بالنجاح.

ابتسم إيهاب ولم يعلق، ووضع أصبع الطباشير، وهمّ بالعودة الى مقعده، لكن الأستاذ قال له: أنا لم أطلب منك المغادرة.

توقف إيهاب منتظرا. استأنف الأستاذ كلامه: أرجوك يا إيهاب أن تقرأ خطوات الحل بصوت مرتفع.

بدأ إيهاب الكلام بصوت مرتعش، وخرجت جمله غير متكاملة والتقط الأستاذ بعض الهمسات التى تصف إيهاب "بتهته". فأدرك لماذا... التزم إيهاب الصمت وهو يحل التمرين. كما أدرك سبب تعجله فى العودة إلى مكانه. وأدرك أيضا أن

Amly نهضة العرب

إيهاب يعاني من ضغوط نفسية تجعل صوته مرتعشا، وجمله متقطعة. وقرر أن يرفع من شأنه. فقال له: أشكرك يا إيهاب فأنت تلميذ نجيب، وذكي، وأرجو أن تصفقوا له. صفق التلاميذ بفتور.

قال الأستاذ: أريد تصفيقا قويا، فمعنا تلميذ قد يصبح مهندسا نجيبا أو عالما عبقريا.

فصفق التلاميذ بقوة لكي ينهوا هذا الموقف.

تصفيق التلاميذ، وكلمات الأستاذ... أعادا الحيوية لإيهاب، وومضت عيناه بقوة، وشعر بزهو النجاح، وأن روحه ارتوت من شراب المجد، فتعالى عن عوامل الضعف والوهن النفسي التي تحاول تعليقات خبيثة أن تحقن روحه بها، وخبث النظرات الموجهة إلى ساقه، وكأن الآخرين يصرون على تذكيره بضعفه، لكن الأستاذ إدوارد بكلماته الطيبة اكتسح بعض عوامل الكدر من نفسه.

★★★

وظهر تفوق إيهاب عندما دخل مدرس اللغة الإنجليزية الفصل وبدأ في توجيه الأسئلة للتلاميذ، ولاحظ الموجه أن التلاميذ استمعوا إلى سؤاله كأنهم يستمعون إلى أحد الطلاسم فأعاد سؤاله ببطء فلم يرفع أحد أصبعه للإجابة. وانتقلت نظرات الموجه من التلاميذ إلى الأستاذ «ملاحظ»، فانسحبت الدماء من وجهه، وسأله: ألم تعطهم هذا الدرس؟

– أخذوه... منذ يومين. ومن المحتمل أن يكونوا غير مراجعين له.

نظرات الموجه التقطت أصبعا مرفوعا؟ فأشار إليه.

أجابه إيهاب إجابة صحيحة... بصوت متقطع.

قال له الموجه: خذ نفسا عميقا، ثم انطق الإجابة بدون تقطيع.

وفعل إيهاب ما طلبه الموجه، ونجح في النطق بدون تقطيع.

توالت أسئلة الموجه، ولذهول «ملاحظ» لم يجب أحد غير إيهاب.

وعندما انصرف الموجه قرر «ملاحظ» أن يضرب كل تلميذ مسطرتين على يده،

إيهاب يعاني من ضغوط نفسية تجعل صوته مرتعشا، وجمله متقطعة. وقرر أن يرفع من شأنه. فقال له: أشكرك يا إيهاب فأنت تلميذ نجيب، وذكي، وأرجو أن تصفقوا له. صفق التلاميذ بفتور.

قال الأستاذ: أريد تصفيقا قويا، فمعنا تلميذ قد يصبح مهندسا نجيبا أو عالما عبقريا.

فصفق التلاميذ بقوة لكي ينهوا هذا الموقف.

تصفيق التلاميذ، وكلمات الأستاذ... أعادا الحيوية لإيهاب، وومضت عيناه بقوة، وشعر بزهو النجاح، وأن روحه ارتوت من شراب المجد، فتعالى عن عوامل الضعف والوهن النفسي التي تحاول تعليقات خبيثة أن تحقن روحه بها، وخبث النظرات الموجهة إلى ساقه، وكأن الآخرين يصرون على تذكيره بضعفه، لكن الأستاذ إدوارد بكلماته الطيبة اكتسح بعض عوامل الكدر من نفسه.

★★★

وظهر تفوق إيهاب عندما دخل مدرس اللغة الإنجليزية الفصل وبدأ في توجيه الأسئلة للتلاميذ، ولاحظ الموجه أن التلاميذ استمعوا إلى سؤاله كأنهم يستمعون إلى أحد الطلاسم فأعاد سؤاله ببطء فلم يرفع أحد أصبعه للإجابة. وانتقلت نظرات الموجه من التلاميذ إلى الأستاذ «ملاحظ»، فانسحبت الدماء من وجهه، وسأله: ألم تعطهم هذا الدرس؟

- أخذوه... منذ يومين. ومن المحتمل أن يكونوا غير مراجعين له.

نظرات الموجه التقطت أصبعا مرفوعا؟ فأشار إليه.

أجابه إيهاب إجابة صحيحة... بصوت متقطع.

قال له الموجه: خذ نفسا عميقا، ثم انطق الإجابة بدون تقطيع.

وفعل إيهاب ما طلبه الموجه، ونجح في النطق بدون تقطيع.

توالت أسئلة الموجه، ولذهول «ملاحظ» لم يجب أحد غير إيهاب.

وعندما انصرف الموجه قرر «ملاحظ» أن يضرب كل تلميذ مسطرتين على يده،

وأخذ يضربهم وهو يسب ويلعن ويتوعدهم، وعندما وصل إلى إيهاب، قال له: أنت شاطر...، لكنك تقطع وتتهته فسأضربك للتهتهة، وضربه.

★★★

أما الأستاذ زيتون فقد تأكد من أن إيهاب تلميذ متفوق، وتأكد من العكس بالنسبة لمحفوظ حتى أنه قال، وهو يوزع عليهم كراسات التعبير: لا أدري لماذا يجلس تلميذ شاطر مثلك بجانب محفوظ؟!

ابتسم إيهاب، ولم ينطق، بينما غرق محفوظ في مشاعر سلبية أسقطته في هوة اليأس. بعد أن انتهى الأستاذ من توزيع الكراريس قال لهم: أنا أصبحت رائدا لهذا الفصل، وسأعمل انتخابات الآن لاختيار رئيس للفصل يكون مسئولا عن النظام، وعن نظافة الفصل وتزيين جدرانه، وسأعين ثلاثة ليكونوا مساعدين له، فمن يريد أن يكون رئيسا يرفع يده، لاحظ الأستاذ زيتون أن المشاغبين هم الذين رفعوا أياديهم. لم يلتفت إليهم، وركز نظراته على إيهاب، وقال: أنا رأيي أن إيهاب يكون الرئيس لأنه شاطر ومهذب.

تعالت همسات معترضة... كوسة... كوسة.

ابتسم الأستاذ عندما التقطت أذناه الهمسات المحتجة، فقال:

– فليكن... انتخابات... وأنا أزكي إيهاب... ومن يريد ترشيح نفسه أمامه يرفع يده.

يد فيصل هي المرفوعة. هز الأستاذ رأسه وقال: فليكن الانتخاب بين إيهاب وفيصل ومن يريد انتخاب إيهاب يرفع يده، رفع تلاميذ كثيرون أياديهم مجاملة للأستاذ، وتحسبا لنظراته التي طافت بهم مستطلعة، وأخيرا ابتسم الأستاذ زيتون، وأحصى التلاميذ المؤيدين لإيهاب، ثم قال: أغلبية لإيهاب، وهو منذ الآن رئيس الفصل.

★★★

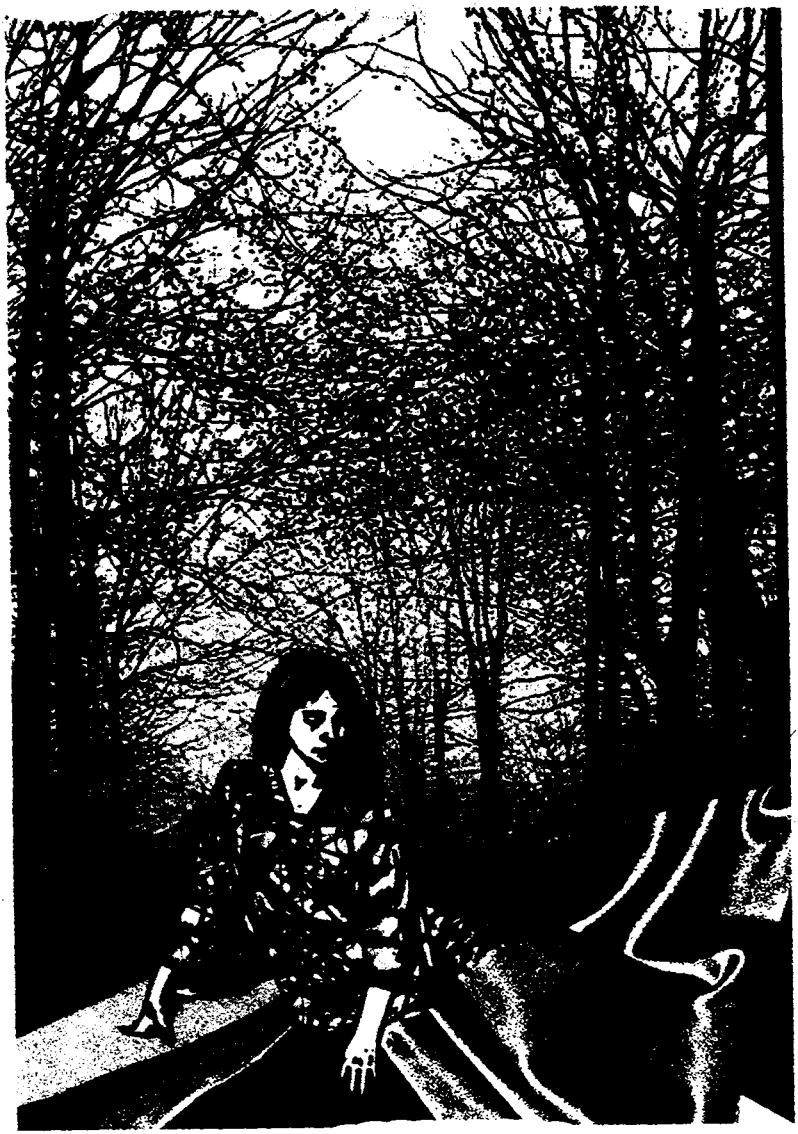

٨- محفوظ المنقذ

تحولت نسمات الخريف الرقيقة إلى هواء بارد... ينذر بحلول الشتاء بقوة. منار تقف فى الشرفة فى محاولة لإعداد نفسها لمواجهة عمها، الشمس تسحب أشعتها الواهنة لتختبئ خلف الأفق، وتأذن للون الرمادى بالزحف. ومنار لا تحب اللون الرمادى الذى يقف على الحياد بين الأسود والأبيض، وهسيس نبات الحلفاء... يذكرها بالجدب وأنه لا ثمار بدون بذور، ولا تغيير بدون حركة.

وعمها (جمعة) وابنه حسنى يفرضان رغباتهما على الجميع من منطق القوة، ووضع اليد، حتى الولد فيصل نشأ متأثرا بهذه البيئة التى تؤمن بالقوة والمزاحمة وفرض الأمر الواقع، عمها جمعة، هو عمها الوحيد، وبالرغم من ذلك لا توجد أية عاطفة تربطه بهم.

وهو يزهو بأولاده وممتلكاته ويسخر من أخيه الذى لم ينجب سوى بنت، وولد هزيل.

وزاد زهو العم بعد أن تم انتخابه عضوا لمجلس الشعب. وهى تريد أن تواجهه ليترك أرضهم، ويربى ماشيته بعيدا عنهم، وأيضا يبعد سيارات عبد الرحيم باشا عن أرضهم.

أخذت نفسا عميقا، وهزت كتفيها كأنها تطرد عوامل التردد ، استعاذت بالله، ونزلت الدرج لمواجهة عمها جمعة.

★★★

قابلها حسنى مرحبا: أهلا... أهلا... ابنة عمى

- أين أبوك؟

- أنت تتجاهلينني، وأنا أرحب بك، كل ذلك لأنك مدرسة، كم تأخذين راتبا شهريا؟... هل تعرفين كم أعطى العلاف فى الشهر؟ ماذا صنع لك التعليم؟

- أنا أُقيّم الناس بما يعرفون لا بما يملكون.

- هذه حجة قاصرة.

- المهم... أين أبوك؟

- ماذا تريدين؟

-أريده هو.

وأنقذ عمها الموقف بمجيئه من الداخل... وهتف مرحبا.

- منار... ابنة أخي... أهلا بك... اصعدى لزوجة عمك.

- جئت لمقابلتك يا عمي.

- خير... أنا فى الخدمة... هل تريدين الانتقال من المدرسة؟ أو تريدين الذهاب إلى بلد عربي؟ قولى ما ترغبين فعمك الآن عضو مجلس الشعب.

- الأرض... ملكنا.

تغير وجه العم، واكتسى بالتجهم.

وتوتر حسني، وارتفع صوته متسائلا: أى أرض؟!

- التى ترعى فيها ماشيتكم، وتقف فيها سيارات الباشا.

التفت العم إلى ابنه، وقال له: افتح المندرة يا حسنى وأحضر شيئا لابنة عمك.

جلست منار فى حجرة الجلوس التى يتصدرها طاقم ذهبى فخم وصورة كبيرة للعم.

والعم معجب بابنة أخيه، وبثبات أعصابها، ويتمنى أن توافق على الارتباط بحسنى ابنه... الذى لم يكمل دراسته الإعدادية ويزهو على الآخرين بأبيه وبممتلكاته.

همس العم جمعة متسائلا: هل يعرف والدك بمجيئك؟

Amly نهضة العرب

- لا.

- أرجو أن تتباحثى معه.

- لماذا؟

- لأنه باع لى هذه الأرض.

شعرت منار بسهم نارى يخترق صدرها.

وضغطت على شفتيها، وسيطرت على أعصابها وسألت عمها: هل معك ما يثبت؟

قال العم بصوت خفيض لكنه يثير الأعصاب: عندما مرضت أمك... لجأ أبوك إلىّ، وقمت بكل نفقات العلاج، ونقلت أمك إلى مستشفى أسيوط، وكان مرضها عضالا "الله يرحمها"، واستدعى الأمر الذهاب إلى القاهرة، وباع أبوك الأرض لى ليسدد نفقات أمك "الله يرحمها".

ثم أخرج العم محفظة من «الصديرى»، وأخرج ورقة مطوية بعناية، وقال لها: اقرئى...

ثم أكمل: أنا عضو مجلس شعب... ويجب أن أتبع الحق. وقرأت منار عقدا ابتدائيا لبيع الأرض.

انسحبت الدماء من وجهها، وتقلص قلبها بقوة، وقالت بصوت واهن: هذا عقد ابتدائى.

- سأسجله فى أقرب وقت

والأرض تصبح لكما.

نهضت منار، وانصرفت بسرعة كأنها تهرب من خطر داهم.

★★★

قال الأب بصوت واهن: لا أعرف موضوع البيع، فهو فعلا صرف على علاج أمك، وكنت قلقا وضعيفا وتركت الأمر له ووقعت على أوراق، لكن لم أكن أعرف أن من بينها عقد بيع

استمعت منار لأبيها، وهى مشتتة الذهن، وواقعة تحت انفعال قوى يهز سلاحها النفسى.

سألت والدها: كم صرف عمي؟

- لا أعرف.

- واجهه...، وأنا سأدفع كل ما صرف.

لاحظ الأب وقوع ابنته فريسة لنار ترعى روحها من جنورها.، وأراد أن يعيد الصفاء إلى قلبها الذى تتلاطم فيه رياح الغضب والقلق، فقال لها: دعك من هذا الأمر، وسأحله أنا مع أخي.

★★★

فى أثناء تناوله الطعام مع أسرته.

ذكر العم (جمعة) ما دار بينه وبين ابنة أخيه منار، وهو يسخر منها.

قال حسني: هذه الفتاة متفرعنة... لا أعرف لماذا؟

ضحك الأب ساخرا، وهو ينثر رذاذ الطعام من فمه وقال له: التعليم يا حسني... لقد حصلت على دبلوم عال وتستعد للماجستير.

أحنى حسني رأسه، فقد أدرك أن أباه يسخر من عجزه فى الحصول حتى على الإعدادية.

قال حسني: وماذا فعلت بالماجستير؟

- وقفت تجادلني كأى رجل.

وتنهد الأب بحسرة، ثم نظر إلى فيصل، وقال:

- الأمل فى فيصل.

- قال حسني مدافعا عن نفسه: أنا أشطر منه واستمر حديث النائب جمعة مع ابنيه حول أخيه وأسرته، وهو لا يدرى أنه يبذر بذور الحقد فى نفس فيصل، بل ويؤجج من نار الحقد المشتعلة فى نفس الصبى من مثل هذا الحديث المسموم.

★★★

نظرات فيصل نحو إيهاب... كأنها سهام نارية مشتعلة بالحقد.

إيهاب يقف أمام السبورة، ويكتب بالطباشير "أسماء الأشقياء" وقال موجها كلامه للتلاميذ، وهو يبتسم سعيدا بالموقف الذى يعلن تميزه: أطلب الهدوء من الجميع، ومن سيتكلم سأكتب اسمه على السبورة.

ورفع فيصل صوته مشاغبا، بل وضرب تامر مستفزا.

قال إيهاب: أرجوك أن تهدأ يا فيصل.

- وإذا لم أهدأ ماذا يحدث يا تهته؟!.

بهدوء اتجه إيهاب للسبورة، وكتب اسم فيصل.

فوجئ إيهاب بزخات من الطباشير تصيبه وتصيب السبورة.

اهتز إيهاب، وتقلص قلبه ألما، وسأل بضعف، وصوت متقطع.

- من فعل هذا؟

أجابه محفوظ: فيصل، وتامر، وعبد المنعم.

ارتفع أكثر من صوت غاضب: اصمت يا غبي، يا أهبل، يا متخلف.

انسحبت كل المشاعر من محفوظ، وسربله السكون بقناع بليد.

كتب إيهاب أسماء كل من قذف الطباشير.

صاح التلاميذ فى إيهاب: امسح الأسماء، وإلا سننتظرك فى نهاية اليوم.

لم يستجب إيهاب، وكانت حصة الأستاذ «ملاحظ» الذى قرأ الأسماء وعاقب أصحابها بالضرب، ولم يستمع إلى أى تفسير أو اعتراض... فساعد فى اشتعال الحقد فى نفوس فيصل، وتامر، وعبد المنعم.

★★★

أدرك محفوظ أن فيصل وتامر وعبد المنعم سيترصدون لإيهاب، فآثر أن يختبئ حتى لا يراه إيهاب أو التلاميذ الأشقياء.

إيهاب يسير فى طريقه إلى المنزل البعيد، وذلك بعد أن آثر السير مع محفوظ بدلا من ركوب الحنطور، لكن أين محفوظ؟!

وقبل أن يفكر رأى التلاميذ الثلاثة فى انتظاره، والطريق خال تقريبا... لأنه الطريق الذى يؤدى إلى المستشفى وقرية العتالين، ومعظم الطلبة من المدينة ويقطعون الطريق إليها من كوبرى القرشية.

ظهرت ابتسامات الفوز الشرير على وجوه التلاميذ الثلاثة وكأنها ابتسامة الثعلب الذى رأى دجاجة وحيدة.

وجف قلب إيهاب، وتسارعت دقاته، واضطربت خطواته المتعثرة، وتقدم التلاميذ الثلاثة منه.

وقال فيصل له: كيف تكتب اسمى يا تهته؟

وقف إيهاب، وقال بشكل عفوي: لا تنس يا فيصل أنك ابن عمي.

قال تامر: بدأت أمور النساء تظهر.

قال عبد المنعم: أين شجاعتك، وأنت تتحدانا؟

وفاجأه تامر بأن وضع رجله خلف ساق إيهاب ودفعه بقوة فسقط أرضا.

وبحقد مسكون بروح الانتقام فك فيصل حزام بنطلونه وأخذ يضرب إيهاب، واشترك تامر وعبد المنعم فى ركله بأقدامهما، وإيهاب يصرخ، وفيصل يقول له: قل أتوب وآكل الطوب، ونحن نتركك.

ورفض إيهاب، وحاول الوقوف لكن عبد المنعم دفعه ليبقى طريحا، ورفع فيصل الحزام... وأنزله... لكن على ظهر محفوظ الذى كان مختبئا... خوفا... ولكنه لم يتحمل إذلال صديقه وصرخاته فجرى وطرح جسده فوق إيهاب ليتلقى الضربات والركلات بدلا منه، وفرح التلاميذ الثلاثة لوجود محفوظ فجسده الضخم، وجبنه أغراهم بمزيد من الضرب والركلات... لكن محفوظ لا يتألم ولا يصرخ، ولا يدافع عن نفسه... كأنه كتلة غير حية...

وهرب التلاميذ الثلاثة عندما أبصروا الأستاذ زيتون قادما من بعيد، وقف محفوظ، ومد يده وأوقف إيهاب، ثم أخذ ينظف ملابس إيهاب من الأتربة، وإيهاب يصدر أصواتا مكتومة مكتظة بالوجع النفسي، أما محفوظ فهو محتفظ بسكوته ولا ينطق كلمة واحدة وحاول إيهاب استئناف السير لكنه سقط أرضا، رفعه محفوظ ونظف ملابسه مرة أخرى، ونظر يمينا... ويسارا واطمأن لخلو الطريق فتقدم من إيهاب وحمله بين ذراعيه كأنه طفل صغير.

حاول إيهاب أن ينزل لكن محفوظ رفض وأصر على أن يحمل إيهاب حتى منزله.

★★★

منار تقف فى الشرفة، ونظراتها متعلقة بنبات الحلفاء المنتشرة على ضفتى جدول المياه القريب.

وأشعة الشمس واهنة...، والطريق خال، وأفكارها متزاحمة ومتناثرة حول عمها وابن عمها حسني، والأرض التى يحتلانها.

اصطدمت نظراتها بصبى سمين يحمل صبيا هزيلا، وجف قلبها وأسرعت دقاته، عندما تحققت أن الصبى الهزيل هو أخوها إيهاب، نزلت مسرعة ومشاعرها ملتاعة.

– إيهاب حبيبي... ماذا بك؟

لم يرد إيهاب... لأنه لا يريد أن يظهر ضعفه أمام أخته ولم يجب محفوظ لأن مشاعره سقطت فى فخ السلبية.

منار لا تهدأ، وتسأل بشكل متلاحق: ماذا حدث لك؟ ومن فعل بك هذا؟

ثم نظرت إلى محفوظ، ورأت آثار الأتربة على ملابسه، وبعض الخدوش فى وجهه، وسألته: هل أنت محفوظ؟

– نعم أنا محفوظ صديقه.

قال محفوظ الكلمات بطلاقة، وهو يشعر بدفء الصداقة.

سألته: ماذا حدث لإيهاب؟... ولك؟

Amly نهضة العرب

صمت محفوظ، وهو يشعر بكمين خلف السؤال، واتجهت نظراته نحو إيهاب كأنه يسأله، لمحت منار النظرات فسألت إيهاب، وقرأت في عينيه معركة محتدمة المشاعر، المتقافزة، فرأت أن تلتزم الصمت، وتغير الموضوع، فقالت لإيهاب: اذهب أنت وصديقك لتغتسلا.

قال «محفوظ» خجلا: أستأذن أب.

– لن تنصرف الآن، فأنت مدعو للغداء معنا.

شعر بالزهو والخجل معا، فهذه أول دعوة توجه له في بيت محترم،. فقال: لا يجب أن أنصرف.

قال إيهاب باندفاع ونطق جملة كاملة: سنتغدى معا يا صديقي

ثم نظر إيهاب إلى أخته، وقال وهو يقطع الكلام:

– لقد صدمني حمار.

ضحك «محفوظ» بشكل عفوي.

تساءلت منار: وهل صدم الحمار صديقك أيضا؟!

ارتبك «محفوظ»، وشعرت به منار، فسألته: هل حملته من المدرسة إلى هنا؟

– نعم.

قالها «محفوظ» بفخر.

وعلى المائدة، وضعت منار أرزا وسلطة وخضارا ولحوما وخبزا وفاكهة لاثنين، وقدمت فوطة لمحفوظ الذي احتار أين يضعها.

ولاحظت منار أن الصبي يأكل بنهم وسعادة، وعيناه ممتلئتان حبورا وامتنانا.

وتهيأ محفوظ للانصراف، وجاءت منار، وقالت له من خلال وجه متهلل يقطر فرحة: أشكرك يا محفوظ على ما فعلت، وأرجو أن تقبل هذه الهدية.

وقدمت له علبة أنيقة، غزته مشاعر دافئة فرحة لم يعرف مثيلا لها من قبل، وفتح العلبة فرأى قلما فاخرا.

فسأل غير مصدق: هل هذا لي أنا؟!

– أرجو أن يعجبك.

Amly نهضة العرب

- يعجبنى أنا؟!

- سأحضر لك هدية فاخرة عند نجاحك.

- نجاحي.

وخرج محفوظ وقلبه ممتلئ بالمشاعر العذبة، رغم الآلام فى جسده.

★★★

فى المساء أخذت منار أخاها إلى الطبيب الذى كشف عن جسم إيهاب، فرأى كدمات زرقاء اللون، ثم أخذ الطبيب يضغط بأصابعه على مكان الألم، ثم قال: إيهاب تعرض لضرب مبرح، لكن لا توجد أى كسور، هو يحتاج للراحة لمدة يومين أو ثلاثة.

وفى نهاية الكشف طلبت منار من أخيها أن ينتظرها فى الاستراحة ثم قالت للطبيب هامسة: إن إيهاب يعانى من تبول لا إرادي.

- إنها مشكلة بسيطة، يجب أولا عمل تحليل للبول لمعرفة الأملاح والالتهابات... لأخذ العلاج المناسب.

ثانيا: تقليل شرب الماء مساء، والحرص على الذهاب إلى الحمام قبل النوم، وإيقاظه بعد ساعتين أو ثلاث.

ثالثا: يجب توفير جو نفسى مريح له، وعدم إيلامه على الإطلاق لأنه كما قلت فعل لا إرادي.

★★★

بالرغم من سعادته البالغة، فقد شعر محفوظ بالخواء لعدم تواجد إيهاب، وتمنى لو غاب هو أيضا، وجود إيهاب يجعل المكان أليفا وآمنا، أما الآن فكأنه يجلس فى العراء معرضا للرياح والأتربة.

عندما دخل الأستاذ زيتون وطافت نظراته الوديدة بالوجوه توقفت نظراته عند الفراغ فى الصف الأخير، وسأل محفوظ:

- أين إيهاب؟

- لم يأت اليوم.

– هل تعرف السبب؟

نظرات حارقة وخائفة سقطت على وجه محفوظ.

فقال بصوت خافت: إنه مريض.

– ماذا به؟

– صدمه حمار.

ابتسم الأستاذ زيتون، وقال: الحقيقة... الحمير كثيرة فى هذه البلدة

وشعر فيصل وتامر وعبد المنعم بالارتياح.

استأنف الأستاذ زيتون أسئلته لمحفوظ: هل تعرف بيته؟

– نعم.

– هل الأمر يستدعى زيارته؟

– لا أعرف.

– غداً إن لم يأت... نكون وفداً لزيارته.

★★★

قام التلميذ رأفت بجمع نقود من باقى تلاميذ الفصل، وقال: سنشترى كمية من البرتقال والموز ونزور إيهاب، ودفع عدد كثير منهم، وتخلف عن الدفع فيصل، وتامر، وعبد المنعم.

وعندما عرف الأستاذ زيتون بقرار الزيارة، شكر التلاميذ لمشاعرهم الطيبة، وقرر مشاركتهم.

★★★

توقف حنطور أمام بيت إيهاب، وخرج والده الأستاذ إسماعيل للترحيب بالزائرين، ونزل من الحنطور شاب طويل سمح الوجه، ومعه ثلاثة تلاميذ بينهم محفوظ الذى دلهم على البيت.

قدم الشاب نفسه باسم عبد الوهاب زيتون مدرس العربي.

زاد ترحيب الأستاذ إسماعيل عندما سمع "مدرس العربي".

قال زيتون: جئنا لزيارة إيهاب لعله بخير.

أدخلهم حجرة الصالون، وطلب من مبروكة إبلاغ إيهاب والأستاذة منار للترحيب بالضيوف.

وتوجه الأستاذ إسماعيل إلى المدرس سائلا عن مادة العربى ومدى الاهتمام بها.

قال الأستاذ زيتون: الاهتمام الآن باللغة الإنجليزية، فكل ما يتصل بأمريكا يكتسح كل شيء، وله الأولوية.

ردد الأستاذ إسماعيل بأسى: إنه الانفتاح والعولمة، حتى أسماء المحلات أصبحت إنجليزية،... نحن نفقد هويتنا.

قال زيتون: نحن نحاول زرع اللغة العربية فى النفوس، وإظهار جمالها.

فى هذه اللحظة دخلت منار، ومعها إيهاب للترحيب بالقادمين، فوقف الأستاذ زيتون وهو يشعر بتيار من الدفء الوليد يسرى فى قلبه.

قدمت منار نفسها: منار مدرسة علم النفس والفلسفة.

قال زيتون منبهرا: أنا... مدرس إيهاب.

ابتسمت منار من تقديم زيتون لنفسه بهذه الطريقة، وقدمت لهم مشروبا، وجلست قليلا، ثم انصرفت تاركة إيهاب مع زواره.

رحب إيهاب بزملاء الفصل، وشعر بالفخر لمجيئهم، ومجيء أستاذه المحبوب.

وحاول الأستاذ إسماعيل أن يبقيهم للغداء، لكنهم اعتذروا، وغادروا تاركين خلفهم فردوسا من المشاعر الطيبة.

مشاعر غسلت قلبه من الكدر، وبرأته من الخذلان والحقد حتى أنه قال لأخته: سأذهب إلى المدرسة غدا.

فأجابته بابتسامة ذات معنى: هذا أفضل، لكن لا تدع حمارا يصدمك مرة أخرى.

★★★

نهضة العرب

Amly

٩- المواجهة

حرص إيهاب على أن يضع على شفتيه ابتسامة واسعة فى مواجهة زملاء الفصل.

ابتسامة إيهاب أثارت الحيرة فى قلب فيصل وزملائه.

فيصل أخبر زميليه بزيارة الأستاذ زيتون لإيهاب.

الشكوك عصفت بقلوب التلاميذ الثلاثة وسلبتها الحيوية المتحفزة.

فيصل لا يكف عن النظر إلى إيهاب فى محاولة لمعرفة تفكيره.

ابتسامة إيهاب قوضت حصن الأمان وملأت قلبه بالأسئلة.

- " هل عرف الأستاذ زيتون ما حدث؟

- وهل وصل الأمر إلى ناظر المدرسة الجبار؟

- وماذا ينتظره هو وزميليه؟"

ثم تذكر أباه "جمعة" عضو مجلس الشعب.. هدأ قليلا، فلن يصيبه ضر فى وجود أبيه.

قد يأتى الضر من أبيه نفسه.

لا... لا... أبوه يحبه ويدلله ويتيه به.. فليهدأ، ولتسكن رياح الشكوك الهوجاء.

ونظر فيصل إلى إيهاب كأنه يعلن له عدم اهتمامه، فاصطدم بتلك الابتسامة التى علقها إيهاب على شفتيه.

ثم تركزت نظرات فيصل على وجه محفوظ، وسرى خاطر فى ذهنه، سيعرف كل شيء من هذا الولد السمين الجبان.

مجرد تهديد صغير... من مجموعته... سيقول محفوظ كل شيء.

★★★

جاءت حصة الأستاذ زيتون الذى رحب بإيهاب، وبدأ الشرح وانتهى، وفيصل ينظر إليه متوجسا، لكن الأستاذ لم تصدر منه أى إشارة أو كلمة إلى ما حدث.

وفى نهاية الحصة طلب من إيهاب أن يمارس عمله فى ضبط الفصل، سرت

قشعريرة فى روح إيهاب، تيار كهربائى يهدده بالصاعقة إنه يوضع فى امتحان قاس.

هى خطوة أو حدث أو حركة ستضع كبرياءه على المحك "يكون أو لا يكون" سمع هذه الجملة من أخته منار... وشعر أن هذه الكلمات شاهد على حركته المقبلة.

نظر إلى صديقه محفوظ فوجد شفتيه تتقلصان.

أخذ نفسا عميقا، وشد قامته، واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، وأفرد صدره، وسار بخطواته العرجاء حتى وقف أمام الفصل.

ابتسامته ما زالت تصل إلى فيصل وزميليه كأنها تهزأ بهم.

لم يتحمل فيصل الموقف، فبدأ فى إثارة الفوضى، ولكز تامر عابثا وبادله تامر العبث.

اتجه إيهاب إلى السبورة، وهو ممسك بأصبع الطباشير، ومسح السبورة، وتطايرت الكلمات المهددة له.

هل اشتقت للكمات أخرى؟

جسمك نحّس

هذه المرة لن ينقذك أحد

سننتظرك فى الخارج.

عرف الفصل بما حدث من فيصل وزميليه فى حق إيهاب ومحفوظ، وسرت الكلمات كالوباء تصف ما حدث.

والكلمات تهز إيهاب، وتهدد تماسكه، ولكنه يتذكر كلمات أخته منار ويستعيدها، ويتشبث بها "لن يستطيع أحد إهانتك إلا بموافقتك"... "أنا رجل يمكن أن تقتلنى لكن لا يمكن أن تهيننى".

ولمعت فى ذهنه فكرة... فكتب على السبورة "لوحة الشرف" ثم التفت إلى التلاميذ، وقال لهم... سأكتب فى لوحة الشرف اسم كل تلميذ ينصرف إلى أى عمل، ولا يثير شغبا.

وبدأ فى كتابة اسم وائل حمدي... لأنه رآه يقرأ فى قصة "الأمير الضفدع"، وكتب اسم أيمن إسماعيل لأنه يحل فى مسائل حساب.

وبدأ الهدوء يسرى فى الفصل.

واغتاظ فيصل، وصاح فى إيهاب: اكتب اسمي.

– هل تقرأ فى قصة؟ أو ترسم؟... افعل أى شيء جيد وأنا أكتب اسمك.

تنبه التلاميذ للحديث بين الاثنين.

أشار فيصل بيده إشارات تفيد بالضرب قائلا من خلال ضحكة جوفاء: "سأفعل إن شاء الله فى نهاية اليوم".

ودخل الأستاذ «ملاحظه» فانتهى الكلام، ونظر إلى السبورة، وعلّق ساخرا: ما هذا؟! لوحة الشرف؟! أين أسماء الأشقياء؟!

★★★

فى الفسحة... كان الأستاذ حمودة مدرس الرياضة البدنية يقف فى ملعب السلة، ويختبر بعض التلاميذ فى التصويب نحو السلة وذلك لاختيار فريق المدرسة.

وكان فيصل يمسك الكرة استعدادا لقذفها عندما رأى محفوظ يسير بالقرب من الملعب، فناداه... لكن محفوظ وقف يشاهد، ولم يرد عليه.

بدأ التلاميذ فى مباراة بين فريقين... والأستاذ حمودة يشاهد... ويراقب بعين الصقر، وتحرك فيصل بالكرة وتعمد أن يقذفها فى وجه محفوظ... لكن محفوظ التقط الكرة... وصوبها "وهو فى مكانه البعيد" نحو السلة... وفوجئ الجميع بالكرة تصيب الهدف.

صاح الأستاذ حمودة: من يكون هذا؟!

سار محفوظ بعيدا والأستاذ حمودة ينادى عليه: أنت... أنت يا طويل... أنت.

وفيصل يردد: اتركه يا أستاذ... إنه أبله... ومتخلف.

وأخيرا وضع الأستاذ يده على كتف محفوظ وقال له: ألا تسمع؟

نظر محفوظ نحو الأستاذ ببلادة وترقب منتظرا لوما شديدا.

– أنت ما اسمك؟

– أنا؟!

– نعم أنت.

– أنا لم أفعل شيئا.

– بل فعلت.

اهتز محفوظ، وقال بانكسار: آسف.

– تعال معي.

أخذه الأستاذ إلى الملعب، وصفر وطلب إيقاف اللعب، وقال لمحفوظ: تعال... قف هنا، وأمسك الكرة... وأريدك أن تقذف بها نحو السلة بهذه الكيفية، وقذف الأستاذ الكرة.

قذف محفوظ الكرة بالطريقة التى أخبره بها الأستاذ، ولدهشة الجميع، أصاب محفوظ الهدف بطريقة ممتازة.

صاح الأستاذ حمودة: ممتاز... أما فيصل فقال: إنها صدفة.

قال الأستاذ لمحفوظ: ابعد خطوتين واقذف الكرة مرة أخرى.

نفذ محفوظ... طلب الأستاذ وقذف الكرة فأصاب الهدف.

صمت التلاميذ، وتعلقت أنظارهم بمحفوظ.

وصاح الأستاذ حمودة مسرورا: ممتاز... ابعد خطوتين وكرر.

قذف محفوظ الكرة وأصاب الهدف.

صاح الأستاذ، وصاح بعض التلاميذ، ومحفوظ ينظر إليهم مندهشا، وسعيدا، ومشاعر السرور تملأ قلبه.

طلب منه الأستاذ أن يقف تحت السلة ويقذف الكرة، ونفذ ما طلبه الأستاذ، وأصاب الهدف.

غيّر الأستاذ الأماكن والزوايا، وكانت النتيجة إصابة الهدف.

عانقه الأستاذ وقبّله، وهو يصيح: أين كنت يا بني؟!

قال محفوظ: كنت فى الفصل.

ضحك الأستاذ، وقال أقصد أنك لاعب سلة ممتاز.

- أنا؟!

- نعم أنت، وسأضمك للفريق.

- لا أريد.

شعر الأستاذ بضيق، ونظر إلى محفوظ، فرأى قناعا من البلادة يكسو وجهه فسأله:

- لماذا؟

قال فيصل: إنه متخلف يا أستاذ.

- اصمت أنت.

ردد أكثر من صوت: أبوه عضو مجلس شعب.

- هذا سبب ليكون مهذباً.

- أنا مهذب.

لم يلتفت الأستاذ إلى فيصل، ووضع يده على كتف محفوظ، وأخذه إلى حجرته، وسأله: لماذا لا تريد الانضمام للفريق؟

قال محفوظ بشكل تلقائي: جدتى لن توافق.

- أين أبوك؟

- مات.

- وأمك؟

- ماتت، جدتى هى المسئولة عني.

- لماذا لا توافق جدتك؟

نكس محفوظ رأسه، وقال بصوت خافت:

- هى تخاف عليّ.

- من ماذا؟!

– من كل شيء،... نحن فقراء.

– هذا أدعى أن تنضم للفريق سنعطيك ملابس رياضية وحذاء وجوربا مجانيا، وبعض المكافآت.

– سأسأل جدتى أولا.

وانصرف محفوظ، والأستاذ ينظر إليه فى حيرة.

★★★

فى الفسحة الكبيرة، فوجئ محفوظ بتلميذ يطلب منه الذهاب إلى حجرة المدرسين لمقابلة الأستاذ زيتون.

اضطرب محفوظ من هذه الأحداث المتلاحقة التى كسرت نظام يومه الرتيب الثابت والأليف.

فى البداية الأستاذ حمودة، والآن الأستاذ زيتون.

ترى ماذا يريد؟

استقبله الأستاذ زيتون هاشا، وقال له مرحبا.

– مرحبا.

– قل لى يا محفوظ لماذا ضرب فيصل وتامر وعبد المنعم صديقك إيهاب؟

"هذا السؤال معناه أن الأستاذ يعرف كل شيء، ولا فائدة من الإنكار".

أجاب محفوظ وهو منكس الرأس: لأنه كتب أسماءهم على السبورة.

– سمعت أنك دافعت عنه دفاعا قويا.

– أنا؟! هم ضربونى أيضا.

– لماذا لم تبلغني؟

– إيهاب رفض.

– أنا رائد الفصل، وأستطيع منع الأذى عنك وعن إيهاب.

صمت محفوظ، والأستاذ يتأمله، وهو يتذكر

"أجسام البغال وعقول العصافير".

ثم قال: شكراً يا محفوظ، وأطلب منك الدفاع عن إيهاب لأنك صديقه، وأنت أقوى وهو ضعيف، وعليك أن تبلغنى عن أى تهديد يحدث لكما.

ورأى الأستاذ أن يواجه التلاميذ الثلاثة، فاستدعاهم منفردين لكى يكون تأثيره قويا على كل منهم.

وسألهم عن سبب تعرضهم لإيهاب، فاحتار كل منهم فى الإجابة.

قال أحدهم: إنه كتب اسمى على السبورة بالرغم من هدوئي.

- لماذا؟

- نوع من العناد.

- لماذا؟

- لا أدري، إنه يحقد على كل التلاميذ بسبب عرجه وهزاله.

وقال الثاني: هو يعادينى بدون سبب.

سأله الأستاذ: أنت أقوى أم هو؟

- أنا.

- وبالرغم من ذلك تتجمعون أنتم الثلاثة لضربه، هل هذا يليق؟

- لا.

- هل تعترف بخطئك؟

- نعم.

- شكراً، انصرف لكن عاهدنى ألا تتعرض له.

وفوجئ الأستاذ زيتون بإجابة فيصل بأن إيهاب ابن عمه، وعلاقة الغيرة والحسد هى التى تدفع إيهاب وأهله لمعاداتهم لأنهم أكثر ثراء وأكثر عزوة.

الولد يردد كلاما سمعه، ويتصرف بدوافع حاقدة مزروعة فى قلبه.

★★★

الإعجاب... كان من نصيب إيهاب.

سأله الأستاذ زيتون: لماذا لم تخبرنى بموضوع ضربك؟

اختلج وجه إيهاب وعاودته الذكرى الأليمة، لكنه تماسك وقال: عفوا يا أستاذي... ولماذا أخبرك؟

- أنا رائد الفصل، ومن واجبى أن أعرف كل شيء عن التلاميذ لحل مشاكلهم.

- ما حدث كان خارج المدرسة.

- هل تخجل مما حدث.

- وهل أخجل إذا صدمنى حمار؟!

ابتسم الأستاذ، وتفرس فى إيهاب متعجبا، ومتسائلا: "هل هذا الكبرياء قرين الثقة؟ أم هو قناع لإخفاء الضعف؟! كيفما كان الأمر فهذا الصبى مثير للإعجاب بالرغم من تكوينه غير الطبيعي".

قال الأستاذ بصوت دافئ: مهما كان الأمر فإنك ستنساه لو لم تفكر فيه، وأريدك أن تعرف أنى معجب بك، وطلبك للمساعدة ليس دليلا على الضعف. وطلب التعاون والمساعدة دليل على الصحة النفسية، والله يحضنا على التعاون فى البر والتقوى.

★★★

فى نهاية اليوم الدراسى حرص محفوظ على أن يسير مع إيهاب، وكما توقع وجد التلاميذ الثلاثة فى انتظارهما.

ألقى فيصل كلمات سيئة تصف كلاً من إيهاب ومحفوظ، وتلصق بهما ألقابا كريهة.

سار محفوظ وإيهاب صامتين طلب فيصل من تامر أن يتحرش بهما لكن تامر رفض فقد عاهد الأستاذ زيتون على عدم التعرض لإيهاب بل وانصرف، وما لبث أن لحق به عبد المنعم، وألقى فيصل بعض الكلمات وركب دراجته وابتعد.

أما محفوظ فقد سار مع إيهاب حتى باب منزله، ورأتهما منار فتقدمت من محفوظ، وطلبت منه أن يبقى للغداء ولكنه رفض بالرغم من شوقه لطعامها...، وأصر على الرفض وسار مبتعداً، ونظرات منار تتبعه.

١٠ - القلم الفاخر

مشاعر عذبة تملأ قلب محفوظ، وتحيطه بجو من الدفء والسعادة، عيناه تتبعان القلم الفاخر (الذى أهدته إياه الأستاذة منار) وهو يعبث به، ويكاد يتيه به فخراً.

نظرات فيصل تابعت القلم، وتعجب كيف تحصّل محفوظ على هذا القلم، كانت بداية الحصة الرابعة بعد الفسحة الصغيرة، والمدرس لم يدخل بعد.

اتجه فيصل إلى محفوظ فى آخر الفصل، وسأله ضاحكا: ما هذا القلم الفاخر يا محفوظ؟!

بشكل غريزى أخفى محفوظ القلم خلف ظهره.

ابتسم فيصل، وقال له مداهناً: أرنى إياه، ولا تخف.

قال إيهاب: دعه يا فيصل.

- لا تتدخل أنت، هات يا محفوظ.

- لا.

- من أين حصلت عليه؟

- اشتريته.

- أعرف، لكن من أين؟

- من المكتبة.

- أى مكتبة؟

- مكتبة ناشد البيلاوى فى شارع الوكالة.

- كم ثمنه؟

- لا أعرف؟

- كيف اشتريته ولا تعرف؟

وانقض فيصل عليه، وأمسك بيده الممسكة بالقلم.

فى هذه اللحظة دخل الأستاذ «ملاحظ»، ولم يشعر به فيصل.

وقف التلاميذ تحية للأستاذ، فنظر فيصل مستطلعا، وقبل أن يتحرك وجد الأستاذ خلفه، ويسأل: ماذا هناك؟

قال فيصل: لا شيء.

شعاع من عين «ملاحظ» لمع دهشة وإعجابا بالقلم.

قال بلهجة آمرة: هات القلم يا محفوظ.

– إنه قلمي.

التفت الأستاذ إلى فيصل وسأله: ماذا تريد؟

– رؤية القلم فقط.

– عد إلى مكانك، أرنى القلم يا محفوظ.

مد محفوظ يده مرتعشة بالقلم، وعيناه تصرخان لهفة وخوفا.

وأخذ الأستاذ القلم قائلا: سأعطيه لك فى نهاية الحصة.

غادر الأستاذ الفصل بعد أن أنهى الحصة، وجرى محفوظ خلفه مرتبكا، وهو ينادى بلوعة: يا أستاذ... يا أستاذ.

– ماذا تريد؟

– قلمي.

– لن أعطيه لك الآن حتى لا يأخذه منك الولد فيصل، تعال فى الفسحة الكبيرة إلى حجرة المدرسين.

وفى الفسحة الكبيرة ذهب محفوظ وإيهاب للسؤال عن الأستاذ «ملاحظ» فلم يجداه، وعرفا أنه غادر المدرسة.

مشاعر الفقد أضفت على وجهه سكونا وحزنا، وقضى يوما قاسيا نهبا للشكوك.

وفى اليوم التالي، وعند دخول الأستاذ «ملاحظ» الفصل تعلقت نظرات محفوظ به، وعيناه تصرخان: القلم... هات القلم.

وأشار «ملاحظ» بيده للتلاميذ الواقفين تحية قائلا: جلوس.

جلس الجميع ما عدا محفوظ.

نظرات الأستاذ متسائلة، محفوظ يقول وهو نهب الخوف:

– القلم يا أستاذ.

– أى قلم؟

التوى قلب محفوظ ألماً، وقال: حضرتك أخذت قلمى أمس.

– أنا؟

قال إيهاب بغيظ: نعم.

– ما دخلك أنت يا أعرج؟!

نظرات إيهاب محتجة، وتكاد تصرخ فى الأستاذ.

وقال «ملاحظ»: أنا أعطيته لك.

بصوت باكٍ: لم آخذه.

«ملاحظ» بصوت آمر: اجلس يا ولد.

يد قوية خشنة عصرت قلب محفوظ، وهزت أوتار أعصابه بقوة، وعصفت بسلامه، فانفجر ببكاء غليظ.

قال «ملاحظ» بغضب: اخرج من الفصل.

خرج محفوظ وهو لا يكاد يرى شيئا.

ولكنه شعر بهوة سوداء عميقة... يسقط فيها ببطء وتثاقل... حتى أنه شعر بدبيب الزمن فى أعماقه الخاوية.

★★★

ما هذا الحزن الأسود الذى يرسب فى عينى محفوظ؟!

وما هذا الانكسار الذى يطفئ بريق عينى أخيها.

استمعت منار، لمحفوظ ولأخيها يحكيان بانفعال وبتداخل ما حدث من الأستاذ، وكادت تهدئ محفوظ، وتعطيه قلما آخر، لكنها أدركت أن وجود مثل هذا الأستاذ جريمة فى حق التلاميذ الصغار، لأن المدرس قدوة للتلاميذ.

فنظرت إلى أخيها، وإلى محفوظ، وقالت: غدا... سأحضر لك قلمك يا محفوظ، لكن الآن لابد أن تتغدى معنا.

فسكنت كل المشاعر الملتاعة على شط الحنان الواثق.

★★★

فى الصباح توقف حنطور أمام باب المدرسين، ونزلت فتاة أنيقة رصينة، فى ملابس محتشمة، اتجهت إلى الباب.

ألقت التحية على الفرّاش عبد الله.

– ماذا تريدين؟

– رد السلام أولا.

غمغم عبد الله، ثم سألها: ماذا تريدين؟

– الأستاذ «ملاحظ».

– لماذا؟

– أنا ولية أمر التلميذ إيهاب إسماعيل، وجئت أستوضحه فى أمر.

– أستسمحك دقيقة.

غاب قليلا، وعاد، ثم اصطحبها إلى حجرة الناظر.

قابلها رجل معتدل القامة، متوسط الطول، نافذ النظرات، رحب بها ودعاها للجلوس.

قدمت نفسها منار إسماعيل مدرسة علم النفس والفلسفة بالمدرسة الثانوية بنات.

ابتسم الناظر، وقال: عبد الغفار حسن ناظر المدرسة، ما هو طلبك؟

– الأستاذ ملاحظ.

هل ممكن معرفة السبب؟

- أفضل مقابلته أولا، ثم أعلم سعادتك.

صوتها واضح، وثابت النبرات، وتتكلم بثقة، مد يده إلى زر جرس، دخل الفرّاش محروس، طلب الناظر منه استدعاء الأستاذ ملاحظ.

وحاول الناظر أن يعرف سبب الزيارة من منار، وفشل.

جاء ملاحظ، دعاه الناظر للجلوس، والحديث مع الأستاذة بعد أن عرفه بها، وبصفتها كمدرسة، ومسئولة عن أخيها إيهاب. قال الناظر: سأغيب خمس دقائق فقط.

ثم خرج، التفت ملاحظ إلى منار، وقال بسرعة: إيهاب متفوق.

قالت منار بهدوء وبصوت واضح: أنا أسألك عن القلم الذى أخذته من محفوظ.

كلماتها كأنها ألسنة نارية أصابته، فوقف منفعلا، وقال محتجا: ماذا؟!

- القلم الذى أخذته من محفوظ.

قال والكلمات تتدفق كأنه يرجمها بها من أثر الانفعال.

أولا: أنا لم آخذ أى قلم، ثانيا: ما دخلك أنت بهذا؟

انفعاله وتوتره أكد لها أن الأستاذ أخذ القلم.

وقبل أن ترد عليه، عاد الناظر إلى مكتبه، وهو ينظر إلى ملاحظ المنفعل، وسأله: لماذا أنت واقف؟ اجلس.

قال ملاحظ، وهو مازال واقفا: هل تريد منى شيئًا يا حضرة الناظر؟

- هل أنهيت الموضوع مع الأستاذة؟

- لا يوجد أى موضوع معها، وأنا لا أعرفها، ولا أعرف عن ماذا تتكلم.

اتجهت منار للناظر، وقالت بهدوء: الأستاذ ملاحظ مدرس، وقدوة للتلاميذ، فلا يصح أن يأخذ شيئا من أحدهم ولا يرده.

سأل الناظر: هل أخذ شيئا من أخيك؟

– أخذ قلما فاخرا من تلميذ اسمه محفوظ.

– وما صلتك بمحفوظ؟

– إنه جارنا، ووالده متوفى، وجدته سيدة عجوز، وأمس كان الولد منكسرا ومخذولا بسبب هذا، ولا أود لمدرس أن يكون سببا فى اكتئاب تلميذ.

كلمات منار تعاملت مع عقل وعاطفة الناظر، فالتفت إلى ملاحظ وقال: لا توجد مشكلة يا أستاذ ملاحظ، أعد القلم للتلميذ، وبذلك تنتهى المسألة.

– أنا لم آخذ شيئا من أحد.

– المسالة بسيطة، سأستدعى التلميذ لأعرف الحقيقة، بعد قليل جاء محفوظ، وما أن لمح الناظر، والأستاذ ملاحظ ومنار حتى سرى فيه تيار صاعق من الخوف.

سأله الناظر: أنت محفوظ؟

بشفة متقلصة، وصوت مرتعش مخنوق أجاب: نعم.

– هل أخذ منك الأستاذ ملاحظ قلما؟

نظر محفوظ إلى الأستاذ، فوجده يحدق فيه بقوة وعيناه ترسلان شررا حارقا. ارتعش محفوظ، وشعر أنه فى طريقه للسقوط من فوق صخرة عالية. وعليه أن يهرب. فأطلق ساقيه للريح.

★★★

١١- لغز محفوظ

الأمور تترنح فى خريطة عقل إيهاب، لأن محفوظ غاب عن المدرسة. فوجود محفوظ يرسخ من مشاعر الأمان فى قلبه.

كيف سيسير الآن من المدرسة إلى بيته؟

من يستمع إلى ملاحظاته وينظر إليه بإعجاب؟!

من يحكى له حكايات ساذجة عن الجدة والعنز والدجاج فيدهشه ويضحكه؟! وأيضا من يحميه من عبث الصبية وتعليقاتهم الشريرة؟!

الصداقة غزلت نوعا من الحنان والألفة والشوق بينهما.

مجرد تواجدهما معا يخلق نوعا من الدفء والحميمية يجعل الحياة جديرة بأن نحياها. الآن... إيهاب يسير وحده فأصبح الطريق شاقا طويلا، والرياح باردة قاسية، كل هذا بسبب غياب محفوظ الصديق.

عينا إيهاب تابعت الأمواج الصاخبة الحانقة، وهى تفتت الرغاوى البيضاء. أثار اهتمامه مركب صيد، والصياد يطرح شبكته بقوة، وهو عارى الساقين. الأمواج والصياد يوحيان له بعظمة المقاومة، وروعة الحياة. فتابع سيره إلى البيت، وقد امتلأ صدره بقرار.

فى البيت حيا والده وأخته منار

سألته منار: ألم يأت محفوظ معك؟

- محفوظ غائب بسبب ما حدث بينه وبين الأستاذ ملاحظ.

- ألم تسأل عنه؟

- غدا... يجب أن أقوم بواجب الصداقة.

- كيف؟

★★★

الفسحة الصغيرة: ذهب إيهاب إلى حجرة الناظر، فوجد اثنين من المدرسين والوكيل يدخلون الحجرة، فوقف بعيدا مترددا.

رآه الفرّاش عبد الله، فأمره بالابتعاد، ونهره مزمجرا.

نظر إلى الفرّاش نظرة عميقة، قرأ الرجل شيئا فى النظرات فاقترب منه، وسأله: ماذا بك؟

قصّ إيهاب حكاية محفوظ مع الأستاذ ملاحظ بطريقة مؤثرة مستخدما كلمات "محفوظ يتيم، ويعيش مع جدته، المدرس أهان كرامته، وأنا صديقه، ويجب أن أبرئ ذمته".

تأثر عبد الله من كلمات إيهاب وهمس "هذا رجل"

ونظر إليه بإعجاب، وشعر أنه شاب وسيم ونبيل.

فابتسم له قائلا: انتظر حتى يدق الجرس، فيخرج الجميع من مكتب الناظر، وتدخل أنت.

- وسأله إيهاب: وإذا خرج الناظر...

قاطعه عبد الله: لا تخف، سأدخل أنا بالقهوة فى لحظة دق الجرس وسأحجزه فى الحجرة، وأمهد لك الطريق.

وقام عبد الله بدوره، ودخل بالقهوة، ثم خرج وأشار لإيهاب بالدخول. خطوات إيهاب مرتبكة، ودقات قلبه سريعة وقوية.

حاول التنفس بعمق ليهدئ من أعصابه المضطربة.

الناظر ينظر إليه مبتسما. ابتسامة الناظر كانت رسالة مطمئنة.

قال الناظر، وهو يرتشف قهوته: أهلا... أنا أعرفك... أنت فى أولى ثالث... واسمك...

- إيهاب يا بك.

- ماذا عندك يا إيهاب؟

- محفوظ يا بك.

- آه مشكلة القلم.

– أنا سأحكى لك كل شيء.

وتزاحمت الكلمات من إيهاب وهو يؤكد براءة محفوظ ويحكى ما حدث بالضبط. هز الناظر رأسه، وقال له: شكرا يا إيهاب، اذهب الآن إلى فصلك، ولن يكون إلا الخير.

بعد نهاية اليوم المدرسى جاءت منار بالحنطور وأخذت إيهاب معها قاصدين بيت محفوظ، وسار الحنطور بين العنز والكلاب والدجاج وأشجار الجميز والسنط تظلل الطريق.

وأعين العجائز تتفحص داخل الحنطور، ثم تبرق الأعين خبثا ودهشة وتساؤلا عن الموجودة فى الداخل، وملابسها الملونة ومقصدها. وتوقف الحوذي، وسأل عجوز عن بيت محفوظ عبد التواب فاقتربت العجوز من الحنطور، وتفحصت فى منار وإيهاب، ثم ابتسمت وقالت: لماذا تريديه؟

قال الحوزى بجفاء: هل تعرفيه أم لا؟

نظرت العجوز إليه مستنكرة، وعلقت بلفظ مستهجن ثم وصفت لهم مكان البيت. بيت متواضع مبنى بالطوب اللبن، بابه مفتوح، وأمامه عنزتان وجدى وعدد من الدجاج.

خرجت عجوز طاعنة فى العمر متشحة بالسواد خالية الفم من الأسنان، نظراتها كليلة، "وجود حنطور يدل على أن السائل ذو حيثية"، سألها الحوذي: هل محفوظ هنا؟

– أنا لا أراه فهو يخرج من الصباح ولا يأتى إلا فى المساء.

– أين يذهب؟

– لا أعرف؟

قال إيهاب: إنه لا يأتى إلى المدرسة.

– مدرسة؟!

– نعم... إنه لا يذهب إلى المدرسة.

– هذا خير، فماذا يكسب منها غير ضياع الوقت.

سألتها منار: هل لديك شاي؟

ضحكت العجوز، وقالت: اتفضلوا.

دخلت منار وإيهاب، وفضّل الحوذى الانتظار فى الخارج.

فرشت العجوز حصيرا قديمة على مصطبة من الطين، ودعتهما إلى الجلوس.

سألتها منار: هل محفوظ خائف من الأستاذ ملاحظ؟

انزعجت العجوز وتساءلت: ماذا يريد المحافظ؟

– ألم يحكى لك محفوظ شيئا؟

– لا... إنه خائب... وقليل العقل، وأرجو أن تسامحوه.

– نسامحه على ماذا؟

– لابد أنه أخطأ، فهو لا يعمل الصح أبدا لكن قلبه أبيض.

– إذا لم يكن يذهب إلى المدرسة فإلى أين يذهب؟

– قلت لك لا أعرف، ماذا تريدين منه؟

تدخل إيهاب وقال: أنا صديقه وأسأل عنه بسبب غيابه.

تفرست فيه المرأة، وهى لا تكاد تفقه شيئا ثم قالت: هو ابن حلال يتيم، وغير نافع فى شىء، ولا يعرف شيئا.

سألتها منار: من أين تعيشان؟

– الله لا ينسى أحد يا بنتي، فلنا معاش بسيط، وأنا اشتريت كفنى ومحتفظة به ليوم الرحيل، ولا أريد شيئا من الدنيا... غير طاقم أسنان.

منار رأت أنه لا فائدة من الاستمرار، فاستأذنت فى الانصراف وهى تتساءل هل هذه العجوز ساذجة جدا ؟ أم خبيثة جدا.

فى صباح اليوم التالي... بعد أن ذهبت منار إلى المدرسة طلب إيهاب من

الحوذى أن ينتظر عند الشارع المؤدى إلى عزبة عبد الباقي، وسيكافأه بمزيد من النقود. وقد صح ما توقعه إيهاب، فقد ظهر محفوظ، وسار فى الشارع المؤدى إلى المحطة، وتتبعه إلى شارع المركز، وشاهده يدخل إلى محل "أديب العجلاتي".

ناداه إيهاب، فجفل محفوظ، وهو ينظر يمينا ويسارا ثم ذهب إلى إيهاب الذى دعاه للركوب معه، لكن محفوظ نظر إلى الحوذى متوجسًا، فنزل إيهاب من الحنطور بعد أن أعطى الحوذى بعض النقود، وطلب منه الانصراف.

سار إيهاب مع محفوظ فى شارع المركز، وشارع الأمراء ومحفوظ يحكى لإيهاب أنه يعمل عند العجلاتى ليشترى طاقم أسنان لجدته، ثم أنه لم يجد فائدة من المدرسة غير الإهانة، والقلم الذى كان يعتز به أخذه الأستاذ ملاحظ لأن المثل يقول "الكعكة فى يد اليتيم عجبة". أخبره إيهاب بما قاله للناظر، نظر محفوظ إليه مذهولا، هذا الولد النحيل يمتلك جراءة غير عادية، سأله محفوظ: لماذا ذهبت إليه؟

– لأنك صديقي، ويجب أن أدافع عنك.. أغتاظ إيهاب لأن محفوظ لم يهتم، لكن فى البيت استمعت منار باهتمام إلى ما قصه إيهاب عن صديقه محفوظ، وقررت أمرا.

★★★

ثغاء العنز ممطوط كأنه يذكر العجوز بمواعيد العودة. ما أن فتحت الباب حتى صاح الديك مناديا دجاجاته للدخول. وقفت العجوز أمام الباب مندهشة لرؤية الحنطور يقترب من بابها، كست وجهها بقناع التجهم، وهمت بالدخول، وغلق الباب.

صوت منار أوقفها: يا خالة.... يا خالة!!

– ماذا تريدين؟

– كل خير، فالحكومة عرفت بحاجتك لطاقم أسنان، فأرسلتنى لتلبية طلبك.

– الحكومة؟!

– نعم... جناب المأمور شخصيا.

– أنا لا أفهم شيئا.

– غير مهم، أنت ستذهبين معى لطبيب الأسنان لكى يأخذ مقاس الطاقم، ويجهزه لك.

– ليس معى نقودا.

– هذا مجاني.

انفرجت أسارير المرأة قليلا ثم عاودتها الشكوك وقالت: فى مقابل ماذا؟!

– ترك محفوظ يذهب إلى المدرسة.

– أنا لم أمنعه، هو جاء باكيا منذ يومين، وجلس صامتا طوال اليوم، ثم أصبح يخرج بعد ذلك ولا يعود إلا فى المغرب.

– متى يخرج؟

– ماذا؟!

– متى يخرج؟

– لا أعرف.

– هو يخرج فى ميعاد متأخر عن ميعاد المدرسة، وأنت لم تسأليه لأن هذا وافق رغباتك.

– أنا؟!

– ماذا كان يعمل والد محفوظ؟

– على باب الله.

– ألا تريدين لمحفوظ مستقبلا أفضل؟

– يعلم الله.

– أنا سأعقد معك اتفاقا، وهو أن أشترى لك طاقم الأسنان، وأعطيك مبلغا شهريا.

تقافز السرور على وجه المرأة وسألت بنوع من الحذر: فى مقابل ماذا؟

- أن تتركى محفوظ يذهب للمدرسة، ويذاكر يوميا مع إيهاب.

كان إيهاب يتابع الحوار متحفزا، وعوامل الضيق تكاد تعصف بهدوئه لكنه التزم الصمت طاعة لأخته التى يجد الأمان فى ظلها.

مازالت المرأة تناور وسألت بخبث: لماذا تهتمين بمحفوظ؟

- لأنه ولد ممتاز، وقد صنع جميلا فى أخى لا أنساه.

العجوز غير مصدقة: محفوظ؟!

- نعم.

- أى جميل؟!

رأت منار أن تحسم الأمر، فقالت بلهجة باترة:

- هذا لا يخصك، هل تحتاجين لطاقم الأسنان أم لا؟

- أحتاجه اليوم قبل الغد.

- هيا معى للدكتور، ودعى محفوظ يذهب للمدرسة غدا، ولا تعلميه باتفاقنا.

- لماذا ؟!

- حرصا على كرامته.

- ضحكت العجوز ساخرة، وهى تتساءل "كرامة محفوظ؟!".

★★★

قضى إيهاب يوما آخر فى المدرسة وهو يشعر بالخواء لأن محفوظ لم يأت. وعرف أن صداقته لمحفوظ هى التى غزلت خيوط الأمن والألفة بينه وبين المدرسة.

لم تتوان منار فى الذهاب إلى بيت محفوظ.

ما أن رأتها العجوز حتى قالت بكلمات متدفقة: إنه فى الداخل، وهو يرفض الذهاب للمدرسة.

قالت منار بحسم: دعينى معه قليلا.

★★★

رأته جالسا فى ركن من الحجرة وكأنه يحتمى من شيء.

ابتسمت له، وقالت : كيف حالك يا محفوظ؟

غمغم بكلمات غير واضحة، لم تهتم منار، واسترسلت فى الكلام: اسمع يا محفوظ، أنا مقدرة موقفك، وأعرف أنك ولد شجاع...

لمعت عينا محفوظ... "لأول مرة... ترى منار هذا البريق".

وأكملت منار حديثها.

– ولم أر أو أسمع عن صبى شجاع مثلك.

محفوظ ينظر إليها غير مصدق، واستأنفت... منار الكلام

– أنت تحملت الضرب عن أخى بطيب خاطر، وحملته إلى المنزل سائرًا مسافة طويلة.

وحكاية الأستاذ ملاحظ دلت على أنك ذكى جدا.

– أنا.

– نعم أنت فمن السهل أن تقول "هو أخذ القلم"، ولكن إدراكك أن هذا القول سيحرجه فيعاديك طوال العام، وهذا شيء صعب عليك.

قال محفوظ: والله هو أخذ القلم.

– أنا أعرف، وهروبك من الموقف كان تصرفا ذكيا، لأنك لم ترد أن تحرجه أو تحرج نفسك.

– أنا لا أعرف لماذا هربت.

– أنت تصرفت بطبيعتك الذكية.

كلماتها تزهر فى أعماقه شجرة الثقة وتملأ قلبه برحيق الأمان، بالرغم من إحساسه السابق بالجبن والهوان واستسلم محفوظ لنوع من الخدر يسرى فى أوصاله.

صمتت منار قليلا، ثم قالت له : يجب أن تعود للمدرسة.

- والأستاذ ملاحظ؟!

- تحمله مثل تحملك لبرد الشتاء.

- الأولاد سيسخرون منى.

- إيهاب لن يسخر منك، إنه يحبك، ويكفى أن تحبه لكى تنسى الآخرين، ثم ما الذى يضيرك من سخريتهم فلتسخر أنت مما يسخر منك.

وأدركت منار أن محفوظ متهاوى ومخنول فى داخله، وأنه بالرغم من ضخامته فهو يفتقد الثقة فى نفسه، ويفتقد الشجاعة، وعوامل السلبية والجبن والخذلان مترسخة فى أعماقه، وعليها أن تبث فيه هو وأخاها عوامل الثقة والأمان.

قالت له: محفوظ... غدا ستذهب إلى المدرسة، وستأتى مع إيهاب لتذاكر معه هذا اتفاقى مع جدتك.

- لكن...

- جدتك ستحصل على طاقم الأسنان، وتشكرك على اهتمامك بذلك، والمطلوب أن تهتم بنفسك أولا.

★★★

وذهب محفوظ للمدرسة، ورحب به كثير من التلاميذ متسائلين عن غيابه، فتعلل بمرضه.

فى الحصة الأولى دخل الأستاذ زيتون، ووقف التلاميذ مرحبين "قبل أن يقول قيام".

مر ضوء عينه على الوجوه، وتوقف عند محفوظ مبتسما، وقال:

- الحمد لله على سلامتك يا محفوظ.

فرح محفوظ لكلمات الأستاذ التى أشعرته بأنه له وجودا وقال خجلا: أشكرك يا أستاذي.

وفى حصة الأستاذ ملاحظ تحاشى محفوظ أن ينظر إليه، ومن المدهش أن الأستاذ ملاحظ تحاشاه أيضا.

★★★

بعد يومين، اكتملت سعادة محفوظ عندما دخل الأستاذ يسرى الفصل وقال لهم: أنا سأدرس لكم اللغة الإنجليزية، والأستاذ «ملاحظ» سيدرس لأولى ثاني. صفق التلاميذ طربا.

ابتسم يسري، وهو يدرك أن قلوبهم بريئة، وأنهم يجاملونه بهذا التصفيق ويسعدونه. ولا يعرف أنهم يصفقون تعبيرا عن تخلصهم من الأستاذ ملاحظ. وأيضا لم يدرك الأستاذ يسرى السبب فى عمل تبادل بينه، وبين الأستاذ ملاحظ. لكن الحقيقة أن الناظر عبد الغفار لم ينس الموقف الذى حدث بين ملاحظ ومحفوظ والأستاذة منار.

وظاهر الموقف يقول أن الولد ادعى كذبا على الأستاذ ملاحظ، وأيد هذا الرأى هروب الولد، وغيابه فى الأيام التالية.

تجربته الطويلة فى التدريس وفى الإدارة أخبرته أنه لا يمكن لتلميذ فقير فى السنة الأولى أن يدعى على أستاذه كذبا.

ثم مجيء الأستاذة منار ومحاولتها حصر الموضوع بينها وبين الأستاذ ملاحظ، وعدم اهتزازها لهروب الولد. وملاحظته الدقيقة لانفعالات الأستاذ ملاحظ، وغضبه الأهوج الذى لم يكن غضبا أخلاقيا رافضا لاتهام يضع أخلاقه موضع التساؤل.

كل ذلك جعله يشك فى سلامة موقف الأستاذ ملاحظ . وطلب الناظر من المعاون إحضار ملف محفوظ... وتأكد أن الولد فقير ويتيم لا سند له، ولا توجد أى عوامل تساعده على أن يتحدى أستاذا.، كما أن شهادة إيهاب قد حسمت الأمر.

استدعى الناظر بعض تلاميذ الفصل وعلى فترات، وسأل كل منهم: هل رأيتم قلما فاخرا مع محفوظ؟

فكانت الإجابة: نعم.

– هل حدث أن الأستاذ ملاحظ طلب رؤية القلم؟

فكانت الإجابة: نعم.

وعرف الناظر من منار أنها هى التى أعطت محفوظ القلم تقديرا لموقف له لم

تذكره. فقرر أن ينقل ملاحظ من الفصل حتى لا يسيء التلميذ، وأن يراقب تصرفاته حرصا على باقى التلاميذ.

ورأى الناظر ألا يتم النقل فورا حتى لا يحرج أحداً.

★★★

عربدت الرياح فى قلب محفوظ، عندما سمع من الفراش محروس يطلب من المدرس الإذن لمحفوظ للذهاب إلى حجرة الناظر.

مرة أخرى سيتعرض للهوان!! هل أهرب؟ هذه المرة لو هربت لن أعود إلى المدرسة، ولو ألحت عليّ الأستاذة منار، فلأذهب، وليكن ما يكون. فى حجرة الناظر، الرجل المهيب يبتسم له، ويسأله عن أحواله فى الدراسة، وهو معتصم بالصمت والصبر، منتظرا توقيت الضربة.

– اسمع يا محفوظ.

اتسعت عيناه رعبا، أنا أعرف أن الأستاذ ملاحظ أخذ القلم، وأنت لم تتكلم حتى لا تحرجه، وللأسف القلم ضاع منه.

دموع غزيرة تزحف من الأعماق، وتدق جدار الأعين.

لحظة عدل تمسح كدر العمر كله، وتجعل الحياة جديرة بالعيش.

– لماذا تبكى يا حبيبي.

الرجل المهيب يربت عليه.

– والله هو أخذ القلم.

– أنا مصدقك، وناديتك لأعتذر لك، وأطلب منك نسيان الأمر، وأنا اشتريت لك قلما آخر عوضا عن قلمك.

وقدم الناظر قلما لمحفوظ، نظرات محفوظ تسيل حبا، وود لو قبل الناظر، لكنه رفض أخذ القلم، وجرى مرة أخرى من المكتب.

ضحك الناظر لتصرف الصبى.

★★★

في صباح اليوم التالي: الناظر فى طريقه إلى حجرته، اصطدم نظره بصبى سمين وطويل يقترب من الحجرة.

من يكون هذا الصبي؟ فلا أحد من التلاميذ لديه الجرأة ليمر من أمام الحجرة، بل إن المدرسين أنفسهم يخشون هذه الحجرة بسبب حزم الناظر وجديته. سعل الناظر منبها، التفت التلميذ نحوه، ورفع يده بشيء لم يتبينه، ظهر التردد على الصبي، وهو يرفع يده ويخفضها.

ثم وضع ما بيده أمام باب الحجرة، وأطلق ساقيه للريح.

اقترب الناظر من حجرته، ثم مد يده إلى زهرة حمراء ملفوفة بغطاء بلاستيك. استنشق أريج الزهرة، وهو يبتسم سعيدا، وود لو أن محفوظ قدمها بثبات.

امتلأت عينا الناظر بالحب.

وهمس: يا له من ساذج له قلب دافئ.

★★★

١٢- اختبار ذكاء

دخلت منار حجرة أخيها، ووجدته جالسا مع محفوظ أمام ترابيزة صغيرة. حيتهما وجلست، وقد قررت أن تتعرف على قدرة محفوظ العقلية لتتعرف على قدراته الحقيقية، وتشرف على تدريسه أو توجه إيهاب للطريقة المثلى التى يتعامل بها مع محفوظ.

وضعت أعدادا من مجلة سمير على الترابيزة، وسألت محفوظ:

- هل تقرا مجلة سمير؟

- لا.

- هل تحب قراءتها.

- أحب رؤية الصور.

- خذ هذه المجلة وانظر إلى هذا الرسم، وقل لى ما هو؟

أمسك محفوظ المجلة، وتأمل الرسم، ورأى أرنبا فى أسفل الصورة، وجزرة فى أعلاها، وطرق كثيرة متقاطعة.

نقل فهمه للصورة إلى الأستاذة منار.

أحضرت منار مجلة أخرى فيها متاهة أخرى لعصفور صغير وعصفور كبير وقالت لأخيها ولمحفوظ، هذه عصفورة كبيرة تبحث عن ابنتها العصفورة الصغيرة، وأنا بالقلم سأحدد لها الطريق... هيا انظرا. كانت تعرف أن أخاها يتقن هذه اللعبة، وهى تريد أن تصل إلى عقل محفوظ دون أن تحرجه.

ثم أعطت محفوظ مجلة فيها متاهة لطفلة تبحث عن لعبتها، ولأخيها متاهة الأرنب والجزرة، وطلبت منهما- الحل.

انتهى إيهاب بسرعة لأنه مدرب على مثل هذه اللعبة أما محفوظ فإنه لم ينجح، واضطرت أن تساعده، وهى تفتعل المرح.

ثم قالت لهما سألعب معكما لعبة بسيطة، وهى سأذكر لكما أربع كلمات ثلاثة

منهم لهم استخدام واحد أو وظيفة أو نوع واحد والكلمة الرابعة مختلفة... أريد منكما أن تكتشفا الكلمة المختلفة.

توترت أعصاب محفوظ، وقرأت منار خلجات وجهه.

قالت الكلمات هى "حذاء، سيارة، قميص، بنطلون".

قال إيهاب ضاحكا: "سيارة" كلمة مختلفة لأن الحذاء والقميص والبنطلون أشياء يرتديها التلميذ.

قناع من البلادة غطى وجه محفوظ، فرأت منار أن تتوقف على أن تعيد اختبار الذكاء له منفردا.

ابتسمت وقالت لمحفوظ: ستذاكر كل يوم مع إيهاب، إلا يوم الجمعة سيكون راحة لكل منكما، وسأعطيك كمية من مجلات الأطفال سمير وماجد وميكى وأحمد لتقرأ فيها وتحل الألغاز، ستفيدك كثيرا هذه المجلات.

غادرت الحجرة فتنفس محفوظ بعمق، وارتاحت أعصابة المستفزة.

★★★

فى يوم الجمعة قرأ كثيرا فى مجلة سمير، ونجح فى حل متاهة وضحك كثيرا حتى أن جدته سألته: لماذا تضحك؟، وماذا تقرأ؟

- مجلة للأطفال.

- هل هذه هى المذاكرة؟!

- الأستاذة منار طلبت منى ذلك.

قالت معلقة: امرأة غريبة!

★★★

رأت منار حل محفوظ للمتاهة، ورأت المشاعر السارة تلون وجهه بالفرحة.

فقالت له: الآن عرفت كيف تحل الألغاز.

ثم طلبت من أخيها أن يذهب إلى أبيه ليسمع له قطعة محفوظات، خرج إيهاب، وهو يبتسم.

قالت منار لمحفوظ: ستحل عددا من الألغاز، وهى مجرد لعبة، ولا يهم أن تكون إجاباتك صحيحة، وهو ليس امتحانا.

ثم قالت له: لو وجدت رسالة ملقاة على الأرض، وعليها طابع بريد، وعنوان، ماذا ستفعل بها؟

قل أول ما يتبادر لذهنك.

– أضعها فى أول صندوق بريد.

صاحت منار مهللة: شاطر.

ضحك محفوظ سعيدا، وقال لها: قولى شيئا آخر.

منار: سأقول لك جملة ناقصة كلمة، وأنت تقول الكلمة. البصر للعين، كالسمع.....

صاح محفوظ: "للأذن".

– أنت ذكى جدا... شاطر يا محفوظ، هيا أكمل

القدم للحذاء، كاليد...

– للـ... للـ... للـ... للشراب.

– هل تلبس الشراب فى اليد يا محفوظ؟

– لا طبعا...

– ماذا نلبس فى اليد؟

– لا أعرف؟

– الساعة.

– ليس معى ساعة.

قالت له: فى هذه الورقة صف من الكلمات لها علاقة بالكلمات الموجودة فى الصف الثانى أريدك أن تصل كل كلمة بكلمة أخرى لها صلة بها.

خبز كرسي

برتقال لحم

مكتب جبن

موز قمح

وصل محفوظ... كلمة خبز بكلمة لحم، وكلمة برتقال بكلمة موز وكلمة مكتب بكرسي.

نظرت منار إلى ما فعله، وقالت له: أنت ذكي جدا يا محفوظ. لكن ما علاقة الخبز باللحم؟

نظر إليها مندهشا وقال: نعمل شطيرة من اللحم والخبز.

حاولت منار ألا تبتسم، وسألته: هل توجد علاقة بين الخبز والقمح؟

– طبعا... نصنع القمح من الخبز.

– ماذا؟!

– قصدى نصنع الخبز من القمح.

طبقت منار عددا من اختبارات الذكاء المتخصصة على محفوظ فى جو هادئ.

واقتنعت بأن محفوظ متوسط الذكاء، كل ما يعانى منه تشتت الذهن، وانعدام الدافع.

وعليها أن تأخذ هذا فى الحسبان، وهى تشرف على تعليمه.

★★★

١٣- مهمة جديدة

مبروكة تطارد الغبار المعشش فى الأركان وتنفضه من الأثاث.

والأب أوصى بشراء المياه الغازية، والتفت إلى منار قائلا: كان يجب أن تُعدى صينية بسبوسة أو بقلاوة.

– متى؟، ولم يعلمنا إيهاب إلا الصباح، وبلدتنا لا يوجد فيها محل حلوانى ممتاز.

تذكر الأب ابنه، فسعى إليه فى حجرته.

ابتسم لابنه وسأله: متى سيأتى الأستاذ زيتون؟

– قبل المغرب.

– هل سيأتى وحده؟

– لا أعرف.

– ماذا قال لك بالضبط؟

– أريد أن أقابل الأستاذة منار فى البيت.

– لماذا؟

– لم يقل.

– وأنت ألم تسأله؟

– لا.

– ردد الأب سرا "ولد خائب"، ثم سأله:

– هل تعرف بلد الأستاذ زيتون؟

– طنطا.

– أين يعيش هنا؟

– فى لوكاندة قرشي.

لم يستطع الأب الاسترسال فى الكلام مع ابنه الذى لا يعرف شيئا سوى أن الأستاذ سيزورهم قبل المغرب.

★★★

هلل الأب مرحبا، وهو يشعر بموجة وليدة من الفرحة تسرى فى قلبه. دخلت مبروكة بالمشروب، قال لها الأب: نادى إيهاب.

– إنه يذاكر مع محفوظ.

تنبه الأستاذ، وسأل متشككا: محفوظ عبد التواب؟

قال الأب بعدم اهتمام: لا أعرف اسم أبيه.

شعر زيتون بجو من الاحتمالات الغامضة، فرأى أن يلقى شعاعا على مهمته فقال: إن إيهاب تلميذ ممتاز، لكن محفوظ يحتاج إلى العناية... هل هو قريب لكم؟

قال الأب بقوة كأنه يرفض اتهاما ظالما: لا... نحن نعطف عليه فقط.

– الحقيقة التعليم يحتاج إلى متابعة من الأسرة، وهذا ما دفعنى للمجيء... لعرض مهمة على الأستاذة منار.

– خير.

فى هذه اللحظة دخلت منار، وابتسامتها تفرش الطريق أمامها، وقف زيتون مرحبا، وتيار من الخدر الدافئ يسرى فى أوصاله.

سألته منار بعد أن جلست: ما أخبار إيهاب؟

– إيهاب ممتاز، المشكل فى محفوظ ونهى.

– نهى؟!

– نعم إنى قادم من أجلها.

صاح الأب مغتاظا: هاتى القهوة يا مبروكة.

سألته منار: من تكون نهى؟

– إنها طفلة فى السابعة من عمرها، وهى ابنة عبد الرحيم باشا العوامري.

– المحامي؟! وصاحب شركة الأمن الغذائى وسيارات النقل؟!

– نعم.

– ماذا بها؟

– إنها لا تميز بين الألوان، بجانب أنها كثيرة الحركة وقليلة التركيز بسبب

بؤرة صرعية فى مخها، ولذلك وجدت المهمة غير متوافقة معي.

دخلت مبروكة بالقهوة، فقال الأب بقوة، وكأنه يعترض على شيء مجهول: اتفضل يا أستاذ.

وضع زيتون الفنجال بجانبه، واستمر فى الكلام.

- نهى... طفلة غير عادية، بعكس أخيها الذى أدرس له.

الاهتمام أطل من عينى منار، فاستأنف الأستاذ زيتون الحديث قائلا: - وهى دائمة البكاء والصراخ، ولديها ميل للتحطيم واستجابتها للتعليم تكاد تكون معدومة، وأنا سأسافر فى أجازة نصف العام إلى طنطا بلدي، ورأيت أنك أنت المدرسة المناسبة لها.

علّق الأب بخيبة أمل: فيك الخير يا أستاذ.

صمتت منار ثم قالت: هى تحتاج إلى مدرسة ابتدائي.

- لا هى تحتاج إلى مدرسة علم نفس، أو دار تربية فكرية، ولا توجد هذه الدار إلا فى أسيوط.

- الحقيقة... أنا مهتمة بإيهاب ومحفوظ و...

كادت أن تقول وبابا... وتوقفت.

- اهتمامك بمحفوظ قد يكون خطوة لتهتمى بنهى.

- لا.

- أرجوك ألا ترفضي، قومى بزيارتها أولا ثم قرري.

★★★

بدأت أشعة الشمس فى الشحوب خجلا من تأهبها للاختفاء والحصان يقطع الطريق الغربى الممتلئ بالعمارات الخاصة بإبراهيم باشا وابن أخته عبد الرحيم باشا العوامري.

وفى مكان متطرف... بالقرب من نهاية الطريق، وقف الحنطور أمام باب حديدى ضخم لفيلا عبد الرحيم باشا العوامري.

البواب يلبس ملابس خاصة بالعاملين عند الباشا، فتح الباب وسأل الأستاذة

عن اسمها. سارت منار فى طرقة طويلة مفروشة بالسجاد.

وتذكرت أن هذه الفيلا كانت مغلقة، ومهملة، وتحت الحراسة وعبد الرحيم باشا نفسه غادر البلد لا أحد يعلم إلى أين. وعاد مع عودة أملاكه وفك الحراسة. وسرعان ما أصبح عضوا فى حزب الحكومة، وعاد إلى نشاطه التجارى المتعدد، وأصبح يمتلك شركة كبرى للأمن الغذائى مع أسطول من عربات النقل، بل وأنشأ مصنعا تابعا للشركة، وسطع نجمه بانتخابه عضوا فى مجلس الشعب، وبجانب ذلك له مكتب محاماة متخصص فى القضايا الجنائية وقضايا المخدرات.

الطرقة تؤدى إلى باب آخر فتحه خادم كهل يرتدى نفس الزى الخاص، وهذا الباب يؤدى إلى قاعة استقبال كبيرة.

قال الخادم لها: سيدتى نهى فى الحديقة.

وفتح بابا يطل على حديقة ممتلئة بالأشجار المثمرة وأشجار وأزهار الزينة ونافورة على هيئة أسد يطلق الماء من فمه وأنفه وأذنيه... سارت منار فى الحديقة، وهى تسمع ضحكات طفلة... ضحكات متلاحقة كصوت جرس صغير.

ثم ظهرت فتاة تلبس زيا خاصا... وتجري... وطفلة تطاردها بعصا وهى تضحك سعيدة لخوف الفتاة الكبيرة منها.

الفتاة توقفت عند منار وهى تقول: أهلا وسهلا... من حضرتك.

- أنا المدرسة منار.

زاد ترحيب الفتاة بها وقالت: أنا اسمى زينب، ونحن فى انتظارك.

وصلت الطفلة إليهما، وضربت زينب بالعصا ضربة مؤلمة صاحت منار فيها: يكفى هذا.

نظرت الطفلة إليها، وهى غاضبة وضربتها بالعصا.

أخذت منار العصا وقذفتها بعيدا.

صرخت الطفلة... صرخات متواصلة، وارتمت على الأرض، وهى تطالب بالعصا، أسرعت زينب لإحضار العصا، لكن منار صاحت فيها: ابعدى هذه العصا.

لم تهتم زينب بها، وجاءت بالعصا، وهى تقول لمنار:

– ماذا فعلت يا سيدتي؟! أنت ستكونين سببا فى طردي.

قالت منار وهى محتدة: لا يجب أن تلبوا كل طلباتها.

– ماذا يحدث هنا؟!

توقف المشهد، وسكنت الأصوات، وتحول صراخ الطفلة إلى نشيج وأنين. انحنى الأب عليها وحملها، وهو يقبلها: ماذا بك يا حبيبة بابا؟

– العصا.

مدت زينب العصا للطفلة، خطفتها منار وقذفتها بعيدا.

صاح عبد الرحيم باشا فيها: أنت من تكونين؟

– الأستاذة منار من طرف الأستاذ زيتون.

– المدرسة؟

– نعم.

– لا نريد مدرسات.

– شكرا... لقد حسمت اختياري.

واستدارت لتعود، ولكنه صاح فيها: انتظري.

– ماذا؟!

أخرج عشرة جنيهات، ومد يده بها قائلا: هذا تعويض عن مجيئك.

– آسفة... لا أريد شيئا.

– ماذا؟!

"هذه الفتاة تتمتع بكبرياء خاص، ولم تهتز لرؤياي، وتجرأت ورفضت، بل وقالت جملة غريبة... ماذا؟! لقد حسمت اختيارى أى أنها... كانت قادمة لمعاينة الأمر أولا"

"لابد أنها من عائلة كريمة".

– أنت... ابنة من؟

- الأستاذ إسماعيل.

- ومن يكون الأستاذ إسماعيل؟ ... ومن عائلتكم؟

- أبى موجه لغة عربية على المعاش، وأنا من عائلة الأبنوبي.

- هل تقربين لجمعة الأبنوبي؟

- عمي.

قال مترددا: نحن معرفة، إن عمك له مصالح كثيرة معي، بل وأستأجر أرضه لتقف فيها سياراتي، غمغمت منار بغيظ "أرضه" ثم تحركت للانصراف، فقال عبد الرحيم باشا: أنا لم آذن لك بعد.

- لا يوجد شيء يحتم بقائي.

- لا، يوجد... أريدك مدرسة لابنتي.

- وأنا أرفض.

صمت عبد الرحيم باشا قائلا، وهو يتفرس فيها، ولاحظ أن ابنته نهى قد صمتت، وهى تتابع الحوار بينهما. قال عبد الرحيم لزينب: خذى نهى لأمها واطلبى من عيون أن يقدم شيئا للضيفة الأستاذة منار.

ثم التفت إلى منار، وقال لها: سنجلس قليلا فى القاعة.

- يا باشا...

- استمعى لكلامى أولا ثم احسمى اختيارك.

★★★

بصوت عميق... قال عبد الرحيم باشا: ابنى تامر فى الجامعة الأمريكية يدرس إدارة الأعمال، وابنى سامح فى الشهادة الإعدادية، وابنتى نهى هى الصغيرة، وهى بطيئة الفهم، ولا تبدى أى استعداد للتعليم، ولا تفرق حتى بين الألوان. صوته أصبح خافتا وضعيفا، ونبراته تنضح حزنا وشفقة.

وأنا مستعد أن أعطيك راتبا كبيرا لتتفرغى لها.

- لا أحب أن أتخلى عن وظيفتي.

- خذى أجازة لمدة عام بدون مرتب وجربي.

– أنا لم أوافق على أن أكون مدرسة لها.

– وإذا رجوتك؟

– ماذا؟!

– أنا لم أرجو أحدا من قبل، وأنا أستطيع إحضار مدرسة خاصة ومربية خاصة لها.

– ولماذا لم تفعل؟

– توسمت فيك... القدرة.

– كيف؟

– تعاملى مع البشر، والأحداث الخطيرة التى مرت عليّ تجعلنى أفرق بين الذهب والنحاس.

– لا أدري... ماذا أقول؟

– قولى موافقة.

– بشرط.

– أشرطى كما تريدين.

– لا أحد يتدخل على الإطلاق فى طريقة تدريسى لنهى وجميع المتعاملين معها يلتزمون بإرشاداتي، وينفذون تعليماتي.

ابتسم الباشا إعجابا، وقال: اتفقنا.

★★★

١٤- وجوه ثلاثة

نام الصمت على صدر الظلام.

ورأس منار مزدحم بالأطياف والأفكار.

أطياف ثلاثة تتداخل فى فضاء الذاكرة.

طيف إيهاب

ومحفوظ

ونهى

إيهاب... كيف تنسج نسيج الأمان فى أعماقه... فلا يهتز، وكيف تسكب الأمان فى قلبه فيطمئن.

الولد ذكي... ووسيم... ويمتلك كبرياء تترفع به عن الصغائر.

لكن صخرة القلق فى صدره تتعرض لتيار الكلام فتقطعه، وأمواج الاضطراب تهز أعصابه فيبول فى فراشه.

كل هذا بسبب عاهة لا دخل له فيها.

يجب أن يمتلك الثقة فى نفسه ليوقف أمواج الاضطراب، ويتخطى صخرة القلق... كيف يحدث هذا؟

ومحفوظ... يقع فى الشريحة التى ينتمى إليها معظم الناس شريحة المتوسط... لكنه سقط فى جُب الخذلان والوهن.

كلام جدته، والبيئة القاسية نزعت منه أسلحة المقاومة، وانعدام الدافع سجن عقله فى سجن الجهل الغليظ، فكيف تشعل القوة فى النفس الخائرة الواهنة؟

ونهى... وجه بريء... لم تعرف أعماقه... بعد.

لماذا اختلطت الوجوه الثلاثة ببعض؟

ولماذا احتلوا سهول الذاكرة؟

هل الثلاثة يفتقدون شيئا واحدا؟

ما هو؟

ونامت منار، وهى مصرة على اكتشاف نهى.

★★★

حقيبتها كبيرة، وشعرها قصير، وخطواتها ثابتة وقوية وهى تخطو إلى الحديقة.

قال الخادم لها: ستى نهى عند النافورة.

ضحكات نهى قادت خطاها للداخل.

زينب تجرى حول النافورة، ونهى تجرى خلفها وهى تهددها بالعصا وتضحك.

ما هذه اللعبة التى تُسعِد نهى؟!

الخوف يثيرها ويسعدها ويضحكها.

هل هى تخاف؟ من ماذا؟ أم تسعد بخوف الآخرين منها؟!

وقفت منار أمام نهى التى همّت بضربها، لكن منار خطفت العصا وقذفت بها بعيدا.

وجهت نهى لكمات صغيرة لمنار، وهى تصيح محتجة، وتردد: أنتِ وحشة... أنت وحشة لا أريدك...

جرت نهى، والتقطت العصا، وجرت خلف زينب، واستأنفت الضحك. جلست منار على النجيل فى ظل شجرة، وأخرجت من الحقيبة كتابا للتلوين، وأخذت تلون بأقلام التلوين.

ووضعت عددا من مجلات الأطفال... عارضة صور الأغلفة بوضوح، وهى تقصد تفجير ينابيع الفضول فى صدر نهى.

توقفت الضحكات فجأة، وأمسكت نهى بمجلة، وقالت: كلب، ثم أمسكت مجلة أخرى وقالت عصفور... واقتربت من منار، وأمسكت قلما أحمر، وعبثت بيدها فى وجه منار فضحكت منار التى سألتها نهى: ألون؟

- لوني.

جلست وعبثت بالألوان بدون ضابط، تحركت زينب نحوهما، فأشارت لها منار بأن تجلس بعيدا.

بعد قليل قذفت نهى باللون بعيدا، وهى تقول: أنا لونت.

سألتها منار: ماذا لونت؟

أشارت نهى إلى الرسم وقالت: هذا.

- ما هو؟

- لا أعرف.

- إنه هدهد.

- ده ده؟!

- هدهد... اسمه مجدي... له أخ صغير.

صاحت نهى: ما اسمه؟

- من؟

- أخوه.

- حسن.

- والهدهد مجدى حلو يحب أخاه حسن، ويحضر له الطعام وينام معه فى العش.

- أين العش؟

- فوق الشجرة.

- أين الشجرة؟

- فى حديقة بعيدة.

- أريد أن أذهب إلى هناك.

- سنذهب معا فى يوم ما.

مدت نهى يدها إلى منار وقالت آمرة: نذهب الآن.

حسن طار من فوق الشجرة، ومجدى جاء العش فلم يجد أخاه الصغير فبحث عنه، وحسن اختفى.

– أين ذهب؟

– مجدى لا يعرف، وأنا لا أعرف، وأنت لا تعرفين.

صاحت نهى غاضبة: أنا أعرف.

– هيا أخبريني.

– فوق الشجرة.

– أين الشجرة؟

أشارت نهى إلى شجرة، وقالت: هذه.

– هيا نبحث عنه.

وزينب تراقبهما من بعيد وتتابع الحوار بشغف، وهى سعيدة لأنها حظيت ببعض الراحة من الجرى أمام نهى، ولكن هناك خوف من منار أن تأخذ مكانها. وقفت منار ونهى تحت شجرة، وأشارت نهى إلى الشجرة وقالت:

– هنا.

أخذت منار تدور حول الشجرة، وهى تنظر لأعلى متسائلة: أين؟

ونهى تقول: هنا.

قالت منار: أنا لا أراه قد يكون طار.

– طار، احكى لى حكاية الهدهد مرة أخرى.

– سأرسم لك الهدهد مجدي، وأنت تقصيه.

– أنا أقصه؟

– نعم.

وأسلمت نهى يدها لمنار، وزينب تنظر لها متعجبة، والخوف يزداد فى صدرها، جلست الاثنتان على النجيل، أخرجت منار ورقا ملونا، واختارت ورقة حمراء ورسمت عليها هدهدا، وأعطت نهى مقصا.

ضحكت نهى، وهى تمسك المقص، وقصت الورقة قصات كثيرة وهى تضحك، وما قصته كان شيئا مختلفا لا شكل له.

صاحت زينب...: ماذا تفعلين؟ "زينب تريد أن تقول أنا هنا"

أشارت منار لها بأن تصمت، وهى تراقب نهى ولا تتدخل، تريد أن تعرف حدود قدرات هذه الطفلة.

منار رسمت هدهدا آخر فى ورقة زرقاء، وقصته بمقص آخر.

توقفت نهى، وهى تنظر إلى منار بترقب.

خطفت نهى الورقة، وقالت: أنا... أنا.

ثم مزقتها، وقذفت بالمقص بعيدا، وأخذت تنظر فى كل اتجاه إلى أن وقع نظرها على العصا فجرت إليها وأمسكتها وضربت منار، وغرقت زينب فى الضحك لأنها شعرت بانتهاء مزاحمتها.

★★★

رأسها مثقل بالأفكار الخرساء.

والمشاعر المبهمة تصك جدار الصدر.

هذه الطفلة الصغيرة هزمتها.

لا أحد يهز اطمئنان العالِم أكثر من الجاهل إلا إذا ترفع عليه أو احتواه.

كيف لم أحتو هذه الصغيرة؟!

استعادت منار ما حدث.

هذه الطفلة تمتلك طاقة وحيوية مبددة فى الفراغ. وأعماقها... ترفض شيئا يثقل عليها، ويحطم كل شيء ولا يترك لها إلا الأشواك.

الانفعالات المتصارعة والجامحة لا تترك لها فرصة للتفكير... التفكير؟! نعم إنها تفكر... لأنها سألت عن الطائر والشجرة، حقا إن صوتها ثقيل، لكن كلماتها واضحة، "نهى" تتحرك بحيوية وتجرى وتضحك. وهذا لا يتأتى لطفلة محرومة من الذكاء.

الطفل المعوق تكون حركته ثقيلة، ونظراته خاوية، وضحكاته جوفاء، وكلماته مليئة بالفجوات المنطقية.

لكن... لماذا ضربتها نهى؟! هل فشلت فى قص الرسم، وقارنت نفسها بمنار التى قصت الرسم بعناية، وغضبت نهى لفشلها فضربتها، هذا ما توصلت إليه منار، وهذا يعنى أن البنت ترغب فى النجاح لكن الأهم لمنار أن تكتسب حبها، ولن تسمح لأحد بأن يعيقها عن الوصول إلى عقل وقلب نهى لكى تستطيع أن تعلمها.

★★★

توقفت زينب عن الجرى حول النافورة، وضربتها بالعصا وهى تضحك، لكن زينب لم تجر، صرخت نهى: اجري.

وزينب محملقة، تجمدت نظراتها على أعتاب منار.

"كيف تبتسم بهدوء؟!، ما الذى أعادها؟ قد تكون جاءت لتطالب بأجرها".

التفتت نهى فى اتجاه نظرات زينب.

عبست عندما طالعتها منار.

استأنفت زينب الجرى لتهرب من الموقف، جرت نهى خلفها... وهى لا تضحك... كأن شيئا دخل فى الموقف الضاحك فغيّر من محتواه. جلست منار تحت شجرة، أخرجت من حقيبتها قطعة شكولاتة. وعددا من اللعب البلاستيك... لعب تمثل طفلة، وطفل، وقردا، وعصفورا، وامرأة، ورجلا.

رصت منار اللعب أمامها، وقالت بصوت طفولي: أنا ذاهبة إلى المدرسة يا ماما.

- خذى معك كتاب الحكايات.

- ماما... أنا أحب الحكايات... احكى لى حكاية قطر الندى والأقزام السبعة.

توقفت نهى عن الجري، وتقدمت نحو منار، وزينب تنادى عليها

- نهى... تعالي... تعالى يا نهى نلعب.

نهى لا تلتفت إليها، وتسير نحو منار، ثم جلست وأمسكت بالعروسة التى تمثل الطفلة،وسألت: ما اسمها؟

- قطر الندى.

سألت نهى بتعجب: بنت اسمها قطر؟!

- اسمها قطر الندى... ألا تعرفين الندى؟

نظراتها جوفاء خالية من أى معنى.

قامت منار، وأمسكتها من يدها، وقالت لها: تعالى نبحث عن الندى. سارت نهى معها وهى تضحك.

فحصت منار أوراق الورود والأزهار، ثم قالت لنهى: فى الصباح تجدين قطرات من الماء على سطح الورود والأزهار... هذه القطرات نسميها الندى.

لم تفهم نهى شيئا، وصاحت غاضبة: احكى لى حكاية العروسة.

جلست منار مع نهى وسط خميلة أزهار، وزينب معهما.

أخرجت منار العرائس، وأرادت أن تتعرف على قدرات نهى، فأمسكت بعروسة وسألتها: هل هذه العروسة مثل الولد أو البنت أو الرجل أو السيدة؟

- احكى لى حكاية الندى أولا.

- قولى ماذا تمثل هذه العروسة.

أمسكت نهى العروسة، وقذفت بها بعيد، وهى تدمدم بكلمات غاضبة، وزينب تضحك.

وقالت نهى: احكى حكاية الندى.

- هاتى العروسة أولا.

خطفت نهى جميع العرائس، وقذفت بها بعيدا، وهى مشتعلة غضبا.

قالت منار: هاتى العرائس.

- احكى الحكاية.

- لن أحكى لك شيئا، إلا إذا أحضرت العرائس.

اندفعت نهى نحو منار، وأخذت تضربها، فأمسكت منار بيديها، فصرخت نهى، أطلقت منار يديها، وهى تطالبها بالهدوء، لكن نهى ارتمت فى الأرض وأخذت تصرخ وتبكى وبدأت تتشنج.

ومنار تنظر إليها ولا تتحرك، فهى تدرك أن نهى تختبرها وتريد أن تفرض ما تريد عليها.

ومنار تشعر أن هذا امتحان لها، ولو استكانت للطفلة فسيكون هذا سلوكا دائما لها، ولن تستطيع تعديل سلوكها أو تعليمها شيئا، فالتزمت بالصمت والهدوء، ولم تلاحظ أن زينب قد انسحبت... لأنها شعرت أن منار منافسة لها ولم تدرك حقيقة دورها.

بعد قليل فوجئت منار بسيدة طويلة القامة -نحيلة- تلبس ملابس فاخرة تجرى نحو نهى وتحتضنها وتقبلها وتهدهدها وهى تقول لها: ماذا بك يا حبيبتي؟ ماما معك.

ازداد بكاء نهى، وازدادت حركاتها العصبية، والأم تحاول تهدئتها.

قالت منار: من فضلك يا سيدتي... اتركيها.

قالت السيدة بغضب: أنت السبب فى كل هذا، ما هو دورك بالضبط؟ هل أنت هنا لتعليمها أو لتعذيبها.

- أرجوك يا هانم اتركينى أمارس عملي.

- عملك بعيد عن هنا.

- شكرا.

تحركت منار للمغادرة، فوجدت عبد الرحيم باشا فى مواجهتها.

- إلى أين يا أستاذة؟

- كان اتفاقنا ألا يتدخل أحد فى عملي.

- وأنا عند اتفاقي.

- الاتفاق يشمل الجميع.

- اهدئي...، وسيكون لك ما تريدين.

ثم نظر الباشا إلى زوجته، وقال لها: إقبال هانم أعطى نهى لزينب، وتعالى نجلس قليلا مع الأستاذة منار.

★★★

فى الصالون قال الباشا محدثا منار:

لا أحد فى الأسرة يعانى من مشاكل سوى نهى، أخواها متفوقان فى الدراسة، أما هى فلا تميز بين الألوان وكثيرة الحركة والضجيج، ونحن نحبها لشعورنا بحظها القليل من الذكاء، فنريد تعويضها، ونلبى كل طلباتها ونتركها تستمتع بحياتها.

حانت نظرة من منار إلى إقبال هانم، فوجدت الدموع تنساب من عينيها حزنا وشفقة على ابنتها. فشعرت منار بتعاطف مع السيدة.

قال الباشا: فهل لديك القدرة للوصول معها إلى شيء؟

- سأحاول.

- ما رأيك لو تأخذى أجازة من المدرسة وتتفرغين لها؟

صادف الاقتراح هوى عند منار، فهى تريد التفرغ للانتهاء من رسالة الماجستير، وهى عن طرق تعليم الأطفال بطيئى الفهم، ونهى نموذج حى للدراسة.

فقالت: أنا لا أستطيع أن أعطيها سوى أربع ساعات.

- هذا مناسب.

- وكما قلت لا يتدخل أحد فى عملي.

- وماذا أيضا؟

- أريد من سيادتك أن تشترى لها لعب لحيوانات وطيور وعصافير ومطبخ وورق ملون وعلب ألوان، وكراسات رسم ومكعبات خشبية ومجلات أطفال، وقصص أطفال، وليتك تأخذها معك إلى المتجر.

★★★

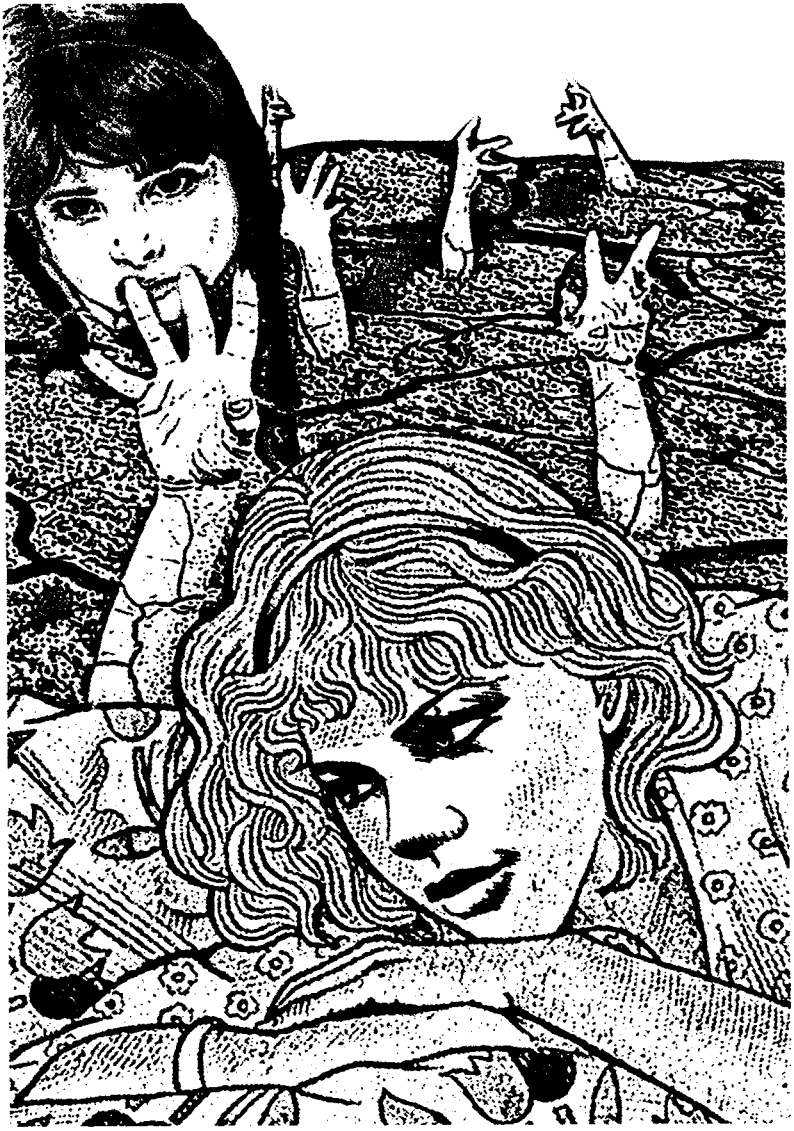

١٥- دموع محفوظ

اليوم الأخير فى الفترة الدراسية الأولى.

القلوب الصغيرة فرحة ومستعدة للانطلاق واللهو ومشاركة الطيور فى التمتع بالخضرة والهواء والماء والسماء لكن الفرحة مرهونة بلحظة توزيع شهادات الفترة الأولى.

دخل الأستاذ زيتون، ووضع حقيبته على الترابيزة.

سمع الأستاذ همسا متواترا... الشهادة... الشهادة.

ابتسم الأستاذ وقال: آخر الحصة.

- نريدها الآن.

- هل أوزعها سرا أم علنا؟

الخائفون من النتيجة صاحوا: سرا... يا أستاذ.

علّق الأستاذ: هذا من قبيل إذا بليتم فاستتروا.

وصاح المتفوقون: علنا.

قال الأستاذ: فليكن... أنا مرتب الشهادات حسب درجات التفوق، فالأول هو.

وصمت، طافت النظرات على الوجوه، وأرهف السمع وهو يكاد يسمع دبيب القلوب.

توقفت نظراته عند إيهاب، فجف ريقه.

- قل يا أستاذ.

- الأول: إيهاب.

اهتز إيهاب من فرط السرور، وتألق وجهه فرحا.

نظرات فيصل تكاد تحرق صدر إيهاب.

محفوظ يضغط على يد إيهاب قائلا: مبروك يا صديقي.

- صفقوا لإيهاب.

صفق الجميع ما عدا فيصل.

الأستاذ زيتون يعلن... الثاني... الثالث... وفيصل يتابع وشبكة أعصابه مستفزة ومتوترة... وهو يتساءل: أين أنا؟

فيصل... الثالث عشر.

كسا التجهم وجه فيصل، وهو يتسلم نتيجته.

أما محفوظ... فقد كان الرابع قبل الأخير، ولم ينجح إلا فى مادتين، وكانت المفاجأة... أن محفوظ قد انفجر فى البكاء. غرق محفوظ فى البكاء طوال اليوم، وهو يخفى وجهه عن الجميع.

حاول إيهاب مواساته بدون فائدة.

وكلمات الأستاذ زيتون ضاعت وسط الضجيج.

قال لهم: الناجح أرجو له مزيدا من التفوق. والذى لم يوفق عليه أن يبذل مزيدا من الجهد، ويعوض ما فاته فى النصف الثانى من العام.

خرج التلاميذ كأنهم عصافير تفر من القفص.

وارتفعت أصواتهم وهم يغنون ويصفقون.

"آخر يوم فى الكازيون يا عالم".

وكأن المدرسة سجن قد تحرروا منه.

★★★

بحث إيهاب عن محفوظ، ولم يجده.

انتظر فيصل بدراجته... حتى رأى إيهاب، فألقى بكلمات جارحة يهون بها من نجاح إيهاب، وزاد الأمر بأن قال: الأستاذ زيتون يجامله... ويذهب إلى بيتهم.

إيهاب لم يعلق، لكن كلمات فيصل أطلقت سحب الكدر فى فضائه السعيد.

★★★

هلل الأب فرحا بنتيجة ابنه، وقال له:

– أنت متفوق وممتاز يا إيهاب، هيا أخبرنى عن هدية النجاح التى تريدها.

– دراجة.

– ماذا؟!

ورأى الأب ابنته منار... تدخل من الباب، فقال لها معلنا فرحه، وهروبه من الموقف: إيهاب نجح يا منار.

– مبروك يا إيهاب... وما هى نتيجتك؟

– الأول يا أختي.

قبلته منار وهى تضحك بكل جسدها معلنة سرورها وسعادتها:

– أنت تستحق يا إيهاب، وتستحق هدية ثمينة فماذا تريد؟

– دراجة.

– ماذا؟!

توقفت منار قليلا، وكادت تقول له: "كيف ستركبها؟". ولكنها سألته، وكأنها تهرب: وماذا فعل محفوظ؟

– رسب.

– فى كم مادة؟

– لم ينجح إلا فى مادتين.

– وأين هو؟

– لقد بكى عندما سمع النتيجة، ثم اختفى.

– بكى؟!

– نعم.

– هذه ظاهرة صحية.

اغتاظ الأب وقال: إنه لا يصلح للتعليم.

قالت منار: لا، يا أبي، كل إنسان يصلح للتعليم، المهم الطريقة.

- دعونا منه، وفكرى فى هدية أخرى لإيهاب.

- لن أتنازل عن الدراجة.

★★★

الدجاجات تفر من الخطوات التى خدشت السكون، وزاحمت الفراغ، رمقتها قطة كسولة تنام فى الشمس.

صوت الجدة يرحب بحذر بالقادمين، وصاحت: منار وإيهاب يا محفوظ.

أشارت الجدة إلى حجرته.

محفوظ يخبئ وجهه بين يديه، وهو منكمش على نفسه.

قالت منار: ألا ترحب بضيوفك؟!

عيناه شمعتان ذابلتان.

قالت منار: أنا عرفت بنتيجتك، وعرفت أنك بكيت.

تدخلت الجدة: لماذا يبكي؟ والنتيجة معروفة.

التفتت منار إليها وقالت مبتسمة: أين الشاى المضبوط؟

ضحكت الجدة، وصارت مبتعدة وهى تغمغم: تريدين إبعادي.

اقتربت منار من محفوظ وسألته: هل بكيت فى السنوات السابقة عند معرفتك بالنتيجة؟

نظراته خاوية، واللحظة ثقيلة وممتدة وتكاد تخنقه.

قالت منار: بكاؤك معناه عدم رضا عن النتيجة، وهذا شيء حسن، والأهم أن يقترن عدم الرضا بالرغبة فى التغيير، فهل ترغب فى النجاح؟

بصوت ضعيف، وهو فى جلسته الذليلة وقال: ومن يرغب فى السقوط يا أستاذة؟

– لا تكفى الرغبة، ويجب أن تتوفر الإرادة، أنت تكون ما تريد.

– ماذا؟!

– أنت تكون ما تريد.

– لا أفهم.

– إذا أردت النجاح بقوة، ستجد الوسيلة، وإيهاب معك، وأنا معكما، والله مع من يساعد نفسه.

نظرات محفوظ تتكسر على أعتابها.

قالت منار: نحن نحتاجك فى تدريب إيهاب.

– تدريب إيهاب؟!

– نعم لأن إيهاب سيشترى عجلة ليحضر بها للمدرسة ويحتاج إلى تدريب.

ابتسامة صغيرة تسللت إلى شفتيه وقال: أنا سأدربه. عندما قالها شعر أن الغيوم تبددت من أفقه.

قالت منار: قف وواجهنا، وتعاهد معنا.

– على ماذا؟

وقف وهو يقولها.

– إيهاب سيساعدك فى المذاكرة، وأنا معكما

وأنت ستدرب إيهاب على ركوب الدراجة.

أنت ستنجح... وإيهاب سينجح، وأنا سأنجح.

الابتسامة ملأت وجه محفوظ، وسأل محفوظ إيهاب ضاحكا:

– هل اشتريت الدراجة يا إيهاب؟

★★★

نهضة العرب

Amly

١٦- منارونهى

هلل عبد الرحيم باشا، وهو يستقبل منار فى الصالون الصغير وطلب من الخادم إحضار مشروب الضيافة والانصراف.

أسرع الباشا بالقول: لقد اشتريت كل شيء طلبتيه لنهى.

- هل ذهبت نهى معك؟

صمت الباشا قليلا، وازدرد ريقه، وقال: لا، ذهب أخوها سامح معي.، سألته منار وهى مستفزة: لماذا لم تأخذ نهى؟!

"هذه الفتاة غريبة وجريئة، وتتحدث كأنها صاحبة الأمر، بل ومسيطرة على كل شيء، من أين تأتيها الثقة والجرأة؟!".

- المهم أنى اشتريت ما طلبتيه.

- كنت أريد لنهى لحظات حنان، وإحساس بالأهمية.

- كل هذا كان سيتحقق بمجيئها معي؟

- نعم، فهى تفتقد الأمان والحنان، وحضرتك بالنسبة لها حصن وحضن.

- حصن؟! وحضن؟! كيف هذا؟

قالها متسائلا، وهو يشعر بسرور داخلي.

- حصن أمان تحتمى فيه من الزوابع، وحضن يحتضن مخاوفها الصغيرة، ويهدهد عواطفها.

"هذه كلمات جميلة، بل وساحرة، إن هذه المدرسة شخصية رفيعة الأخلاق، مرهفة الإحساس".

- أنت أديبة، وتتحدثين لغة مختلفة.

- دعنا من هذا يا باشا.

"هذه الفتاة حاسمة، وتعرف طريقها بوضوح، وهى محددة الأهداف... كم نحتاج فى حياتنا إلى مثلها".

ولكنه تذكر شيئا غريبا، فالتفت إليها قائلا: لا أعرف أن هناك طفلة تحظى بالتدليل والرعاية مثل نهى، فكيف تقولين أنها تفتقد الأمان والحنان؟!

قالت منار: التدليل ليس هو الحنان، بل التدليل قد يفسدها.

الحنان هو أن نرشدها للسلوك المضبوط برفق، هو أن نشعرها بأن الحب هو الدافع لنا فى إرشادها، الحنان أن نحتضنها ونقبلها ونرشدها ونشجعها.

قال عبد الرحيم باشا، وهو يشعر بارتياح شديد لكلمات منار: كلى أمل فى وجودك يا أستاذة منار لتعطى نهى ما ينقصها من علم وحنان.

صوته دافئ ورتيب كأنه يحاول نسج خيوط الألفة بينهما، فقالت له: يجب أن يكون كل من فى البيت بيئة حاضنة لها، فالبؤرة الصرعية الموجودة فى مخها تدفعها أحيانا... إلى حركات غير مسئولة، فيجب الصبر عليها واحتواؤها.

وعلينا أن نملأ حياتها بالأطفال والألعاب.

صمت الباشا قليلا، وقال مترددا: هل هى مجنونة؟

- لا.

- هل يمكن فعلا أن تتعلم؟

- كل إنسان ممكن أن يتعلم بالصبر والتشجيع واختيار الطريقة الملائمة.

- إلى أى حد ممكن أن تصل؟

- المهم أن نوصلها لمعرفة كل ما يفيدها وأن تعرف ما يضرها وأن تميز بين الصح والخطأ، وأن نكتشف موهبتها الحقيقية، فكل ميسر لما خلق له.

فى هذه اللحظة دخلت نهى.

فرد الأب ذراعيه، جرت نهى وجلست فى حجره، وأحاطت رقبته بذراعيها، ونظرت إلى منار نظرة فيها تحدي.

ابتسمت منار لها وسألتها:

- هل اشترى بابا مطبخا لك؟

التزمت الطفلة بكهف الصمت.

نصبت منار كمائن الكلام لها، وقالت: أنا عندى مطبخ كبير، وسأطبخ فيه للعروسة، وأعزم الديك والبطة.

صاحت نهى: أنا عندى بطة.

– ما اسمها؟

– لا أعرف.

– اسمها بطوطة

ضحكت نهى.

استرسلت منار فى الكلام: وماذا عندك غير البطة؟

– كثير.

– عندك عصفورة؟

– نعم.

– عندك مطبخ؟

– نعم.

– تعالى نطبخ فيه أنا وأنت.

ظهرت زينب على باب الحجرة، فرأت منار أن تستقطبها.

قالت منار: وزينب معنا.

الباشا يتابع الحوار، وهو سعيد بمقدرة منار على احتواء الموقف.

التفت الباشا إلى زينب وقال لها خذى سيدتك منار هانم إلى حجرة نهى...، واتركيهما معا.

قالت منار: أريد زينب معنا.

نظرت زينب إليها غير مصدقة، فهى توغر صدر سيدتها ضد منار، ومنار تحرص على وجودها... ما معنى هذا؟!

★★★

فى حجرة نهى:

صاحت منار ووجهها يضحك: ما هذا؟! حجرتك جميلة، وعندك سرير ودولاب.

"منار تعرف أن الأطفال يحبون امتلاك الأشياء، والافتخار بما يمتلكون، ولهذا فهى تلعب على هذا الوتر".

صاحت منار: الله عندك بطانية جميلة، مرسوم عليها نمر، لونه أصفر، وماذا لديك غير هذا؟

فتحت نهى الدولاب، وأخرجت كمية من الفساتين، وقالت: فساتين!!

أمسكت منار فستانا، وقالت: الله!! جميل!! لونه أحمر.

رددت نهى خلفها: أحمر.

أمسكت منار فستانا آخر، وسألت نهى: ما لونه؟

- أصفر.

- لا هذا لونه أخضر.

قالت نهى بعناد: أصفر.

أشارت منار إلى بطانية النمر وقالت: أصفر مثل البطانية؟

- لا.

أمسكت منار فستانا آخر لونه أخضر وسألت نهى: أم أخضر مثل هذا؟

نظرت نهى طويلا للفستانين وقالت: أخضر مثل هذا.

جمعت منار الفساتين ذوات اللون الأصفر معا، والملابس ذات اللون الأحمر معا، وذوات اللون الأزرق معا.

وقالت لنهى: هذه لونها أصفر، وهذه أحمر، وهذه ازرق، نهى تعرف كل الألوان... هيا قولى معي: هذه أصفر، وهذه أحمر، وهذه أزرق.

رددت نهى خلفها وهى تضحك.

قالت منار: هيا نلعب معا، وأخبريني عن الألوان، وأنا أعطيك بالونة لها نفس اللون الذى تعرفينه.

زينب تراقب مذهولة من حيوية منار، واستجابة نهى لها.

قالت منار: هاتى كل لعبك.

بدأت نهى تحضر لعبها، وهى تضحك سعيدة، ووضعت كل شيء أمام منار التى جلست على سجادة بجانب زينب وقالت: أنت يا نهى ستصبحين صاحبة محل لعب.

- ماذا؟!

- سنلعب معا... أنت صاحبة المحل، ونحن سنشترى منك.

- أنا أحب اللعب.

- هيا نرتب اللعب، كل لعبة لونها أصفر نضعها فى هذا الركن.

أمسكت نهى دبا لونه بني، وقالت: لونه أصفر.

- لا... هذا لونه بني، لكن هذه لونها أصفر.

- هذه العروسة؟

- نعم وأنت تعرفيها.

- أنا؟

- نعم، هاتى العروسة الصفراء.

مدت نهى يدها للعروسة وقالت: ها هي.

ضحكت منار وقبلتها وقالت: نهى شاطرة... تعرف كل شيء. أثناء اندماجهم فى اللعب، دخل صبى فى الرابعة عشر وسأل:

- ماذا تفعلون؟

أدركت منار أنه سامح، فقالت له: أهلا سامح... هل أنهيت مذاكرتك، أم تأخذ استراحة؟

نظر إليها بغيظ، ولم يجب.

قالت له: هل تحب أن تلعب معنا؟ أم نغلق الحجرة علينا حتى لا نسبب لك إزعاجا؟!

أغلق سامح باب الحجرة بقوة، وكأنه يحتج على وجود منار.

★★★

١٧- ركوب الدراجة

منار تكرر لهما مبدأ

(أنت تكون ما تريد)

وهى تقوى الإرادة عندهما لكى يمسك كل منهما بحياته، ولا يترك نفسه لعوامل اليأس والإحباط، تلك العوامل المنتشرة فى الهواء مع التعليقات الساخرة أو النظرات المشفقة، والكلمات غير المسئولة.

ومنار تعلم أن الخواء الذى يملأ حياة محفوظ أوقعه فى مصيدة السلبية. وكلمات جدته، وخوفها عليه، وعدم شعورها بالأمان، وإحساسها بالوحدة والضعف، كل هذا كبل إرادة محفوظ، وجعله يركن للسلبية والخوف والإحساس بالعجز.

المعرفة ستنير كهوف عقله المظلمة، فيجب أن يعرف كثيرا، يقرأ ويشاهد ويجب أن يحقق نجاحات صغيرة تجعله يطمح للنجاح الدائم.

عليها أن تساعده ليمتلك إرادته، وتضيء له الطريق لتحقيق أهداف صغيرة.

أما إيهاب... فهو ذكي، وحقق نجاحا هائلا فى الدراسة، فكيف لم يساعده هذا النجاح فى نسج سلام داخلي... يطرد القلق من أعماقه، وترتاح أعصابه على شط التفوق؟!... فلا يتبول فى فراشه، ولا يُقطّع فى كلامه.

إنه محتاج لنوع من النجاح العملي... يتخطى به عاهته، وقد تكون رغبته فى شراء دراجة حلا موفقا، فقررت أن تشتريها له.

★★★

لم تتوقع منار أن يفرح إيهاب كل هذا الفرح بسبب الدراجة. وجهه تتقافز عليه دوائر السرور، وعيناه تلمعان وتحضنان الدراجة، ويداه تتحسسان الدراجة... كأنها شيء ثمين طال انتظاره.

محفوظ شاركه الفرحة، وقال له: هيا اركب... وأنا سأمسكها لك.

ركب إيهاب بعد محاولات، وبعد أن رفض أن يحمله محفوظ أو يساعده على الركوب، بل واحتد قائلا: مهمتك أن تدربنى على قيادة الدراجة فقط.

محفوظ يمسك الدراجة من الخلف والأمام فى محاولة لحفظ التوازن، ويقول لإيهاب: ثبت يديك، وانظر أمامك.

دخلت العجلة فى الأرض التى ترعى فيها الأبقار، وتقف فيها السيارات صاح العامل فيها: ابتعد من هنا، إنكما تخيفان الأبقار.

صوت العامل شتت من تركيز إيهاب، فاهتزت يده ووقعت الدراجة ووقع إيهاب ووقع محفوظ.

ضحكات ساخرة من فيصل الذى كان يراقبهما من النافذة. وعلق فيصل: هذا لا يصلح لك يا أعرج.

لم يعلق إيهاب، ووقف، ووقف محفوظ ورفع الدراجة.

قال محفوظ: تعال نتدرب بعيدا.

قال إيهاب وهو ينظف ملابسه: لا، سنتدرب هنا، إنها أرضنا.

ظهر حسني، وتقدم منهما، وقال بصوت غليظ آمر:

ابتعدا من هنا.

قال إيهاب وهو ينتفض، وصوته متقطع: لماذا؟ وهى أرضنا؟!

ضحك حسنى ساخرا: أرضكم؟!... كل شيء هنا ملكنا، حتى البيت الذى تسكنون فيه، هيا ابتعدا.

ارتجف محفوظ، وقال لإيهاب: هيا نتدرب بعيدا.

لا، سنتدرب هنا.

نظر محفوظ إلى إيهاب مستغربا، "كيف يمتلك هذه الشجاعة وهو بهذا الجسد الهزيل؟!".

وحسم محفوظ الأمر بأخذه الدراجة بعيدا، وإيهاب يصيح فيه بأن يتوقف.

قال محفوظ: ابعد عن الشر، وغن له.

وبالرغم مما حدث فإن إيهاب استمر فى التدريب بقيادة محفوظ وتشجيعه.

ونجح فى نهاية الأسبوع فى أن يقود الدراجة بضعة أمتار قبل أن تفقد التوازن.

لكن بعد عشرة أيام من التدريب والوقوع أصبح إيهاب يسيطر على الدراجة، وقادها فى الأرض الموجود فيها الأبقار والسيارات.

شيء ما يدفعه للذهاب إلى هناك، قد تكون رغبته فى إثبات ملكيتها، أو نوع من التحدى للخوف الذى يحاول أن ينشره حسني، أو الهزء من فيصل والاستهانة به، فهو الأول عليه، ألفة الفصل، وسخرية فيصل تدل على ضعفه وعجزه.

لم يتحمل حسنى تحرك إيهاب فى الأرض، بل واستفزه شعاع حاد ينطلق من عينيه، فصرخ فيه: ابتعد يا أعرج من هنا.

اهتز إيهاب، وسقط بالدراجة.

أسرع محفوظ لمساعدته لكن حسنى صرخ فيه: أتركه يا ولد يا أبله، وابتعد من هنا.

تجمد محفوظ، وهو ينظر لحسنى بخوف ورجاء.

صرخ حسنى فيه، وهو يقترب منه مهددا: قلت لك ابعد.

وهنا ظهر الأب الأستاذ إسماعيل، وقال لحسني: لماذا تصرخ فيه؟

– هل يرضيك يا عمى أن يخيف البقر؟

وقف إيهاب بعد جهد، وقال: يا أبي... هل هذه أرضنا أم أرضهم؟

– أرضنا طبعا.

– ماذا تقول يا عمي؟! إنها أرضنا نحن.

ونادى حسنى بصوت غليظ: أبي... أبي... يا حضرة النائب جمعة.

جاء الرد من الداخل: ماذا تريد يا حسني؟

– تعال يا أبي... لترى أخاك.

ظهر الأب النائب وقال موجها الكلام لأخيه: أهلا يا أخي.

– أهلا بك.

قال حسنى بغيظ: يا أبي... إنه يدعى بأن هذه الأرض أرضه.

- لا تتدخل أنت يا حسني، أنا أحل المسألة مع أخي.

ثم التفت جمعة إلى الأستاذ إسماعيل، وقال له:

- تعال معى يا أخى.

★★★

فى "المندرة" الخاصة بحضرة النائب.

قال جمعة لأخيه: أنت أخي الأكبر ورأس العائلة، وأنت تعلمت، وأبى صرف عليك، أما أنا فعملت معه وكافحت معه، فماذا تريد بعد ذلك؟ وأنت فى نهاية العمر.

- وهل أنت صغير؟! أنا أريد الحق.

- أنت أخي، وليس بيننا حدود وحقوق... أنت طلبت مالا لعلاج المرحومة زوجتك ولم أتأخر عنك، حتى ابنتك عندما سافرت إلى الكويت من الذى جهز أوراقها؟

وبالرغم من ذلك... كل شيء للأولاد... فلنزوج منار وحسنى ونخرج نحن من المشكل.

شعر الأستاذ إسماعيل أن أخاه جمعة يكبله بخيوط الإحسان، ويتبع طريقة مراوغة لزجة ليفقده القدرة على الدفاع عن حقه. فصاح فيه وكأنه يقطع الخيوط التى تكبله: ماذا تقول يا جمعة؟! أنت استوليت على كل شيء بدعوى مساعدتك لأبي، لكن الحق أحق أن يتبع.

- أنا معك، الحق أحق أن يتبع، هل تعرف توقيعك؟، انظر إلى هذه الورقة.

قرأ إسماعيل الورقة فوجدها ورقة تنازل منه عن الأرض لأخيه فى مقابل الأموال التى صرفها فى علاج زوجته.

سأل إسماعيل بتعجب: أنا لا أذكر هذه الورقة، كما لا يوجد شهود عليها.

أخرج جمعة ورقة أخرى من محفظته الجلدية الكبيرة، وقال له:

– وهذه الورقة... هل تتذكرها؟

قرأ إسماعيل الورقة، وهاله ما فيها، ودارت به الأرض، وسأل أخاه: ما هذا يا مفتري؟! هل أنا بعت لك البيت؟ متى حدث هذا؟

– نحن أخوة، والبيت بيتك والأرض أرضك بشرط أن يتزوج حسنى من منار.

دارت الأرض بالرجل، وشعر أنه وقع فى جُبٍّ لا قرار له.

★★★

١٨- يوم لا ينسى

فى طريقها للخروج كان القلق يقرض جذور قلبها

كيف تترك أباها راقدا فى السرير؟!

حاولت أن تجعله ينهض لكى يجلس فى الشمس أو يستقبل الهواء المنعش لكنه اثر النوم مستسلما لأحزان مجهولة بالنسبة لها، وهى تعرف أنه قابل عمها، وعاد وعينيه غائمتين، ووجهه شمعي، وتنفسه ثقيل. أسلم جسده للسرير، وعقله للشتات، وقلبه للزوابع.

- ماذا بك يا أبي؟

- لا شيء.

- أنا ذاهبة إلى نهى، هل تريد شيء؟

- لا.

- هل أمكث بجانبك؟

- لا.

رأت إيهاب يركب الدراجة، ومحفوظ يجرى بجانبه ويقول له: أنا لا أمسكك، أنت الآن تسوق جيدا. لكنها رأت الدراجة تسير بشكل متعرج رغم مرور أحد عشر يوما.

★★★

لم تجد نهى فى حديقة الفيلا

ولم تسمع الضحكات الصغيرة

ظهرت زينب على الدرج، وهللت عندما رأتها قائلة:

- نهى فى حجرتها لا تريد مغادرتها.

طرقت منار الباب، فلم تسمع شيئا.

- أنا منار، افتحى يا نهى.

فتحت، وهى مطرقة، وعيناها مطفئتان، لم تسألها منار عن شيء، ولكنها بادرت بالقول: العصفور الأزرق يحمل على ظهره عقلة الأصبع.

حملقت نهى فى منار، وسكنت حركتها.

قالت منار: العصفور الأزرق يبحث عن بيت عقلة الأصبع.

- من يكون عقلة الأصبع؟!

سألت نهى وقد تملكها الفضول.

أجابت منار: عقلة الأصبع بنت صغيرة طولها يساوى عقلة الأصبع.

صمتت نهى، وهى تحاول استيعاب ما تقوله منار، ثم انفجرت فى الضحك، فتأكدت منار أن خيال نهى جسد صورة عقلة الأصبع.

فقالت منار: العصفور الأزرق فى الحديقة... عند النافورة هيا نذهب لرؤيته.

أسلمت نهى يدها لمنار، وسارت معها إلى الحديقة.

جرت نهى يمينا ويسارا، وهى تسأل: أين العصفور الأزرق؟!

- طار... إنه يبحث عن بيت عقلة الأصبع

وماما عقلة الأصبع تبحث عن ابنتها.

أم عقلة الأصبع تحب ابنتها كثيرا لأنها ابنتها الوحيدة.

جلست نهى أمام منار، وهى تعيش فى دنيا مسحورة ومنار تحكى وتلون دنيا نهى بالسحر والجمال والخيال.

وقالت: كانت السيدة صفاء تعيش وحيدة مع زوجها محمود ولذلك كانت تصلي، وتدعو الله أن يرزقها بطفلة حتى ولو قدر عقلة الأصبع.

وفعلا رزقها الله بطفلة صغيرة... صغيرة مثل عقلة الأصبع.

كانت أمها السيدة صفاء تضع ابنتها فى علبة كبريت...

انفجرت نهى فى الضحك، وقالت: أريد أن أجلس فى علبة الكبريت.

قالت منار: عقلة الأصبع صاحبت نملة.

- نملة؟!

- نعم نملة.

- أريد نملة.

عقلة الأصبع صغيرة، وهى تأكل قليلا، وتشرب نقطة ماء وتنام فى علبة كبريت.

كل صباح تقف عقلة الأصبع فى الشرفة، وهى تغنى بصوت جميل فيأتى العصفور الأزرق، ويغنى معها.

وتحضر عقلة الأصبع كمية من الأرز والقمح للعصفور، يأكلها ويطير حول عقلة الأصبع ويداعبها ثم يطير بعيدا إلى عشه وعقلة الأصبع تلوح بيديها للعصفور الأزرق مودعة.

وتدخل الأم الشرفة، وهى تحمل غطاء زجاجة ممتلئ باللبن تعطيه لابنتها، وهى تقول: صباح الخير يا حلوة.

قالت نهى: أنا حلوة.

ذات يوم جلست عقلة الأصبع فى الحديقة، جاءت فراشة ملونة، نظرت بدهشة للطفلة الصغيرة، وسألتها الفراشة: من تكونين؟

– أنا عقلة الأصبع.

– هل أنت عصفورة؟

ضحكت عقلة الأصبع، وقالت: وهل أنا أمتلك منقاراً وجناحين وريش.

– قولى لى من أنت؟

– وإذا أخبرتك، هل تأخذيننى إلى بيت العصفور الأزرق؟

– العصفور الأزرق؟! أنا لا أعرف عشه، سأسأل عنه، هيا أخبرينى من تكونين؟

– أنا إنسانة، واسمى عقلة الأصبع، وصديقى العصفور الأزرق.

– هيا نذهب إليه.

وركبت عقلة الأصبع على ظهر الفراشة.

صاحت نهى: أريد أن أركب الفراشة.

– طارت الفراشة بعقلة الأصبع، وسط الحدائق، وهى تسأل الطيور عن عش العصفور الأزرق.

تعبت الفراشة، وقفت على سنبلة قمح لونها لون الذهب، نزلت عقلة الأصبع فى حقل القمح، وطارت الفراشة بعيدا.

سألت نهى بذعر: أين ذهبت؟

جاء أبو قردان وريشه أبيض، رأته عقلة الأصبع... خافت، وجرت لتختبئ منه.

ثم أخذت تنادي: ماما... ماما.

وسمعت كتكوتا صغيرا لونه أصفر ينادى أمه ويقول: صو... صو... صو.

جاءت أمه الدجاجة ومعها أربعة كتاكيت لهم أجنحة صغيرة، ولونهم أصفر، وجرى الكتكوت إلى أمه وقال لها: رأيت كتكوتا صغيرا ولكنه ليس مثلنا.

- أين؟

أشار الكتكوت إلى عقلة الأصبع.

ذهبت الدجاجة إليها... ووقفت بعيدا، وهى خائفة.

قالت عقلة الأصبع: أريد ماما.

- أين هي؟ ومن تكون؟

- أنا لا اعرف مكان بيتنا لكن العصفور الأزرق والفراشة يعرفان.

نهى تحملق مذهولة، وهى تعيش فى دنيا العصفور الأزرق.

وأكملت منار: الدجاجة قالت لها: كنت أريد أن أساعدك، لكنى لا أعرف العصفور الأزرق.

وذهبت الدجاجة مع الكتاكيت بعيدا.

- وسارت عقلة الأصبع.

- أين ذهبت؟

- شعرت بالتعب وجلست، رآها أرنب... أخذ يقفز حولها، ثم سألها: من تكونين؟

- أنا عقلة الأصبع.

ضحك الأرنب كثيرا، وقال لها: هذا اسم غريب.

قالت عقلة الأصبع: لا تهزأ مني.

وتركته وسارت بعيدا، لكن الأرنب قفز خلفها، وقال:

- لا تغضبي، أنا أريد أن أساعدك، أين بيتك؟

- الفراشة تعرف.

– أى فراشة؟

– لا اعرف اسمها، لكن العصفور الأزرق يعرف.

– العصفور الأزرق... أنا أعرف مكان عشه، اركبى فوق ظهري، وسأحملك إليه.

وقفز الأرنب كثيرا حتى وصل إلى عش العصفور الأزرق وناداه.

العصفور الأزرق كان يأكل فى عشه فوق شجرة التوت.

– أين شجرة التوت؟

– طار العصفور الأزرق، ورأى عقلة الأصبع فصاح مرحبا بها وبالأرنب.

وقال لها: أين كنت؟ ماما صفاء تبحث عنك، هيا لأحملك إليها.

وركبت عقلة الأصبع فوق ظهر العصفور الأزرق وطار بها حتى أوصلها إلى أمها.

وما أن رأتها أمها حتى احتضنتها وبكت، وشكرت العصفور الأزرق، وأعطته كمية من الأرز والقمح.

وقبلت ماما صفاء ابنتها، وتوتة... توتة... فرغت الحدوتة.

نهى استمعت للحكاية بانتباه شديد، هذا ما لاحظته منار، معنى هذا أن عقلها يستوعب فما الذى يعوقها عن الفهم؟!

قالت نهى: أريد أن أرى عقلة الأصبع والعصفور الأزرق.

– سنذهب معا إلى بيتي، وهناك سنبحث معا عن عقلة الأصبع والعصفور الأزرق.

– واستأذنت منار من السيدة إقبال لأخذ نهى معها لتوسيع مداركها، فأذنت لها، وأمرت سائق السيارة بالذهاب معهما.

أحضرت زينب كل ألعاب نهى.

★★★

اقتربت السيارة من البيت.

أشارت منار إلى البيت قائلة لنهى:

– هذا بيتنا، وهذا أخى الذى يركب الدراجة، واسمه إيهاب، وصديقه الذى

يجرى بجانب الدراجة اسمه محفوظ.
أرادت منار أن تصنع جسرا من الألفة بين نهى وبين المكان والأشخاص.
توقفت السيارة.
نزلت منار ونهى.
أخرجت زينب كل ألعاب نهى من السيارة.
صاحت نهى: أين العصفور الأزرق؟
ابتسمت منار، وقالت: سنبحث عنه، اركبى دراجتك.
- لا أريد.
- اركبيها لنذهب إلى الأرنب، ونسأله عن العصفور الأزرق.
- أين الأرنب؟
- اركبى الدراجة لنبحث عنه.
ونادت منار: إيهاب... محفوظ.
جاء إيهاب بدراجته التى أصبحت هى كل اهتمامه.
قالت منار لمحفوظ: أنت نجحت مع إيهاب فى تعليمه ركوب الدراجة، أريدك أن تنجح مع نهى.
تقدم محفوظ وصافح نهى، لكنها أخفت وجهها.
ضحك إيهاب قائلا: هل تسابقينى يا نهى؟
نظرت نهى إليهما متسائلة.
قالت منار: أريدك أن تصور نهى وزينب صورا متحركة بآلة تصوير الفيديو، خاصة ونهى تجرى بالدراجة.
أخذ محفوظ يدفع دراجة نهى، وهى تصيح محتجة.
وجاء إيهاب بآلة التصوير وقال: انظرى إلىّ يا نهى.
نظرت إليه نظرة خائفة ثم أبعدت وجهها.
أمسكت منار بيد نهى، وقالت لها: هيا نبحث عن العصفور الأزرق، والأرنب.
تركت نهى الدراجة، وأسلمت يدها لمنار، وصورهما إيهاب.
نظرات نهى مركزة على الحيوانات التى ترعى أمامهما. أشارت إلى إحداها متسائلة، فقالت منار: بقرة. وعرفتها منار بباقى الحيوانات.
- هيا نعد طعاما لنأخذه معنا إلى العصفور الأزرق.

وذهبت منار وزينب ونهى إلى المطبخ.

خلعت منار معطف نهى، وطلبت منها غسل بعض الملاعق. وأشركتها مع زينب فى إعداد "المكرونة"، ومنار حريصة بأن تعرفها كل شيء فى المطبخ، وتعرفها بلونه. ونهى سعيدة لأنها تشترك، وسعيدة لأن هناك من يناديها باسمها، وسعيدة لأن إيهاب يصورها.

وأخذتها منار لتحيّ الأستاذ إسماعيل، فخافت نهى منه بالرغم من ابتسامته لها.

وأقبلت نهى على الطعام مع الجميع... مع زينب ومحفوظ ومنار، أما إيهاب فحريص على تصوير فيلم كامل عن نهى.

ثم طلبت منار منهم أن يغسل كل فرد طبقه.

ونهى تتحرك معهم، وتآلفت مع محفوظ وإيهاب، وقبلت أن يدفع محفوظ دراجتها لتتعلم السواقة.

منار تريدها أن تستخدم ساقيها، تريدها أن تجرى وتلعب وتضحك لتحررها من القيود الهلامية التى تكبل عقلها ووجدانها.

- أين العصفور الأزرق.

"مازالت الحكاية الخيالية تشغل تفكيرها".

رأت منار أحد الطيور على الشاطئ الثاني.

أشارت إليه منار وقالت: ها هو العصفور الأزرق.

ضحكت نهى وقالت: هيا نذهب إليه.

سألت منار - كيف؟ والبحر يقف فى طريقنا؟

قذفت نهى بنفسها إلى الترعة، وهى تقول: هكذا.

صرخت زينب، وقذف محفوظ بنفسه، وقذفت منار بنفسها، وصرخات زينب تملأ الجو، وإيهاب يصور.

★★★

١٩- أزمة منار

لم تكن زينب تعرف أنها تمتلك كل هذا الحقد على منار فقد انطلقت تحكى لسيدتها عما حدث لنهى بطريقة مختلفة عن الحقيقة، وقالت لها: منار جلست مع أخيها وولد آخر وتركت نهى بدون رقابة.

– وأنت أين كنت؟

– ستى منار قالت لى اتركيها، فهى تحتاج للحرية والحركة فهى دائما مقيدة فى البيت، وسامح مصادر لحريتها.

– هل تكلمت عن سامح؟

– لم تترك أحداً يا سيدتي، وتركت نهى تسقط فى الترعة لولا أنى صرخت، فجرى شاب وأنقذها.

– منار هذه مجرمة، وعلى الباشا أن يطردها أو يسجنها.

★★★

اعتصمت منار بحصون الصبر والصمت فى مواجهة السهام الجارحة المسمومة المنطلقة من إقبال هانم.

صوت إقبال هانم فرض سيادة الضجيج على هدوء القصر فجاء عبد الرحيم باشا مستطلعا، تجهم وجهه عندما رأى منار فقد وصلت إليه القصة مشوهة من زوجته.

وقال الباشا مهدئا زوجته: لا داعى لكل هذا الصراخ، فمنار أخطأت خطأ لا يغتفر و...

قاطعته منار بثقة: ما هو خطئى يا باشا؟

– ولا كلمة، أنت تأخذين حسابك، ولا نريد رؤيتك بعد الآن.

– أنت رجل قانون، ويجب أن تستمع لكل الأطراف.

– إهمالك جسيم وفى حق من؟! حق ابنتي، خذى هذا المبلغ وانصرفى.

تحركت منار بعد أن نظرت لهم نظرة مترفعة، ورفضت أخذ النقود.

فى طريقها للانصراف وقعت نظراتها على نهى التى صاحت بحب ولوعة: منار...

كادت منار أن تضعف، لكنها غادرت المكان بخطوات ثابتة بالرغم من العواطف التى تضرب جدران قلبها بقوة.

★★★

فى حجرته يرقد ذابلا كورقة صفراء ألقت بها الرياح إلى جانب الطريق.

قبلته منار، وهى تقول له: قم يا أبى لنجلس فى الشمس.

همس: منار... ماذا فعلت؟

– لا شيء، تركت نهى.

– لمن؟

– للزوابع.

– كيف؟ احكى لي.

إحساسها بالظلم فجر الدموع فى أعماقها فسالت على خديها ومنار تحاول أن تتماسك.

من خلال دموعها وشهقاتها قصت عليه ما حدث مع نهى وأهلها، الدموع خاطبت الأبوة فى نفس الأستاذ إسماعيل، وهاله ما تعانيه ابنته، "منار القوية بهذا الضعف؟!"، إنها حصننا، أنا ركنت للضعف مطمئنا لوجودها.

الدموع أيقظت كبرياءه، وحركت دماء العافية فى جسده الهامد، فقام من السرير واحتضنها، وقال لها بحنان: لا عليك يا حبيبتي، لا شيء يستحق دموعك.

★★★

كل ما قصته على أبيها وصل إلى سمع محفوظ وإيهاب. استمع الاثنان إلى صوتها الباكى وهما نهبا لانفعال طاغ ورغبة قوية فى تحطيم شيء.

★★★

وعندما شعر الاثنان بخطوات منار تتقدم من الحجرة.

حاول محفوظ أن يقرأ فى كتاب مطالعة.

محفوظ يقرأ فى الكتاب بصعوبة، كأنه طفل فى بداية تعليمه وما أن رآها حتى لزم الصمت.

تساءلت منار: هل يجد صعوبة فى القراءة فقط؟ قدْ تكون هذه الصعوبة هى السبب فى تأخره الدراسي، هذا بجانب انعدام الدافع، والجو السلبى الذى أحاطته به جدته.

ابتسمت منار له، وسألته: لماذا توقفت؟

نظر إليها مذهولا، أين دموعها؟! أين ضعفها؟ كيف تماسكت؟ والمذهل أنه شعر بإشفاق عليها، بل وبرغبة قوية فى أن يفعل شيئًا ليصحح به الميزان.

سألها إيهاب: ماذا فعلت مع أهل نهى؟

نظرات محفوظ متعلقة بها.

قالت بهدوء: انتهت الصلة بيننا، والآن أنا متفرغة لكما.

أعلن إيهاب عن أسفه قائلا: نهى طفلة بائسة تحتاج لمساعدتك. و محفوظ غارق فى الصمت.

أما منار فقد التفتت إلى أخيها، وقالت له: أريدك أن تقرأ الموضوع الذى كان يقرؤه محفوظ بصوت عال، واقرأه جملة إثر جملة، وقبل أن تقرأ كل جملة خذ نفسا عميقا.

وقالت لمحفوظ: وأنت ستقرأ بعده، عقب كل فقرة.

تردد إيهاب، وتمنى لو أنها خرجت لكنها جالسة منتظرة. فلم يجد بدا من أخذ نفس عميق، وقرأ الجملة الأولى فى نفس واحد.

صفقت منار له، فهدأت مشاعره، وتحفز لقراءة الباقي. التفتت إلى محفوظ، فقرأ بصعوبة، وهى تصوب له مبتسمة.

Amly نهضة العرب

وقرأ إيهاب الجملة التالية وهو أكثر هدوءا.

وقرأ محفوظ بعده.

إلى أن انتهى الموضوع.

سألتهما منار عن الفكرة التى يتحدث عنها الكتاب، واستمعت إلى كل منهما، وصوبت لهما طريقة التفكير المنطقي.

ثم قالت لهما: من الآن ستكون هذه طريقة المذاكرة.

إيهاب يقرأ... ثم محفوظ بعده... ثم مناقشة الموضوع والأفكار مع معرفة السبب والنتيجة.

وخصت محفوظ بابتسامة كبيرة، وهى تقول له: أنت بطل وشجاع.

سأل محفوظ بدهشة: أنا؟!

– طبعا أنت، فمن يضحى بنفسه لإنقاذ الآخرين... هو بطل كبير، ونادر، وأنت فعلتها مرة مع إيهاب، وأخرى لإنقاذ نهى.

صوتها امتلأ بالشجن، وهى تتذكر نهى.

ثم نظرت إلى إيهاب، وقالت له: وأنت ذكى ومتفوق وتستحق حياة كريمة أنت ومحفوظ.

وأنا سأعمل على ذلك بشرط أن تساعداني.

– كيف؟!

ضحكات ساخرة بددت الجو الأليف الذى يسود الحجرة.

التفت الجميع إلى النافذة، فرأوا فيصل يفر بعيدا.

★★★

وخرجت منار وتركتهما، قال محفوظ بصوت قاطع لم يعهده إيهاب: أين الصور التى صورتها؟

– تقصد شريط الفيديو؟

– نعم.

– موجود، هل تريد أن تريه لجدتك؟

– لا، أريد أن أريه للباشا.

– أى باشا؟

– والد نهى.

– لماذا؟

– ليعرف ماذا فعلت منار.

قال إيهاب: ويعرف ماذا فعلت أنت؟!

★★★

نظر الباشا إلى محفوظ بتعجب وسأله: من تكون يا بني؟ وماذا تريد؟

– أنا اسمى محفوظ، وأنا أنقذت ابنتك مع أبلة منار.

– آه، جئت من طرف منار.

– خذ هذا الشريط، وستعرف ما هى الحقيقة.

★★★

لم يصدق الباشا ما يرى.

هل منار قذفت بنفسها لإنقاذ ابنته؟!!

وهذا الولد الذى أحضر الشريط؟!!

وابنته هى التى قذفت بنفسها.

ثم ما كل هذا الفرح؟ وهذه السعادة التى عاشتها ابنته! كيف فجرت منار كل هذه الضحكات فى طفلته؟ وكيف ظلمنا نحن منار؟! وظلمنا نهى؟!

★★★

استدعى الباشا زينب، وقال لها: انظرى إلى هذا الشريط وشحب لون زينب، وغرقت فى البكاء، هى تقول:

- سامحنى يا باشا

- قولى الحقيقة.

- كل ما فى هذا الشريط حقيقة.

★★★

٢٠. الفصل الدراسى الثانى

تسلل الشعاع الفضى من النافذة، وكأنه ابتسامة الوجود التى تدعو الكائنات للاستمتاع بالحياة. استمع إيهاب إلى صياح ديك يأتى من بعيد كأنه يعلن فرحته باليوم الوليد. استيقظ إيهاب، وبرغمه التقطت نظراته بقعة الماء المبللة لفراشه، هز رأسه قليلا، وكأنه يعلن عدم جدوى العلاج. ذهب إلى الحمام وأخذ "دشا"، وتوضأ وصلى الصبح.

وجد أباه يرتل القرآن بصوت عذب، حيّاه، وبحث عن منار، فوجدها تصلى فى حجرتها...، وهو يعجب لصلاة أخته، فهى تستغرق فى الصلاة، وكأنها تتحول إلى روح شفافة تعانق السماء، وتسبح مع الملائكة فى ملكوت الله.

ابتسم، وذهب إلى حجرته ليرتدى ملابسه، ويعد حقيبته.

بعد قليل سمع خطواتها، طرقت الباب، وقدمت له كوبا من اللبن: صباح الخير يا إيهاب.

– صباح الخير يا أجمل أخت.

ابتسمت سعيدة للتحية التى جاءت من روح منتشية ويقظة وراضية، سألته: هل ستذهب معى بالحنطور؟

قال بلهجة قوية واثقة: لا، سأذهب بالعجلة.

– هل سيذهب معك محفوظ؟

"هى تتمنى ذلك لأنها تطمئن على إيهاب فى وجود محفوظ".

نظر إليها مندهشا لسؤالها إن سكن محفوظ يبتعد عن طريقه وفطن إلى ما تريده، فقال لها مطمئنا أو مستهينا:

– سأرى محفوظ فى المدرسة أو سأقابله فى الطريق.

– تعال، تناول فطورك قبل المغادرة.

★★★

كان هذا اليوم... يوما له طابع مميز بالنسبة لإيهاب، فهو سيذهب إلى المدرسة بالعجلة.

سيعلن للجميع أنه مثلهم، ولا يختلف عنهم، وهى رغبة مشتعلة فى صدره لأن يكون مثل الجميع.

وهو الآن متميز عنهم، هو الأول وألفة الفصل.

كما أنه استعد للفصل الدراسى الثاني، وقرأ مع محفوظ كثيرا من المواد تحت إرشاد منار.

منار حرصت على أن يقرأ كل دروسه بصوت عال، مع قراءة جملة كاملة بدون توقف، كما حرصت أن يعيد محفوظ القراءة خلفه، وكلّفته بأن يشرح لمحفوظ دروس الإنجليزى والرياضيات والعربي، ويحل معه التمارين، مع ذكر السبب والنتيجة. وهو كان يجد نفسه، ويشعر بذاته عندما كان يشرح لمحفوظ الذى بدا يظهر تقدما خاصة بعد أن راجعت منار معه جدول الضرب، وأفهمته معنى الأرقام، ومعنى الرموز، وكانت تحول العمل اليومى إلى أمثلة حية محسوسة.

وكانت تصر على أن يقرأ كل منهما قصة بصوت عال، وتطلب حكاية ما فهماه. بهذه الطريقة صوبت كثيرا من خطوات محفوظ.

استيقظ إيهاب من أفكاره على صوت منار تدعوه للمغادرة والاحتراس فى الطريق. ابتسم، وشد قامته، واتجه إلى دراجته لينطلق إلى المدرسة.

★★★

الفرحة تنطق بها نظراته، وتزغرد فى ضلوعه، وينبض بها قلبه، هى فرحة العصفور يضرب الفضاء بجناحيه للمرة الأولى بعد أن تعلم الطيران.

هذا ما شعر به إيهاب، وهو يقود دراجته فى الطريق، ملقيا التحية على كل من يقابله كأنه يشهده على انتصاره.

صدره عامر بالأشواق لتلاميذ فصله، والشوق الممتلئ بالحنين إلى أستاذه عبد الوهاب زيتون، كم يحبه ويشعر بالدفء فى وجوده. النسمات الباردة المنعشة تعلن عن قدوم الربيع والعصافير وخضرة الأشجار، وتفتح الأزهار.

الشعور بالسعادة شعور داخلى ينم عن الرضا ويلون الحياة بلون السحر.

تنبه إيهاب إلى دراجة تقترب منه بشكل مريب.

شبكة أعصابه توترت عندما سمع صوت جرس مختلطا بصوت ضحكات ساخرة... وصوت هازئ يحذره: ابتعد يا أعرج.

إنه هو... فيصل مثله مثل الفئران والذباب والبعوض والجراد، كائنات موجودة لتنبهنا إلى الوجه الآخر من الحياة.

حاول إيهاب أن يبتعد بدراجته عن طريق فيصل، لكن صوت الجرس يلاحقه، وكلمات فيصل أثارت الارتباك فى بحيرة مشاعره الصافية.

فيصل يتعمد مضايقته، ويحك دراجته بإطار دراجته، إنه متمرس، وهو مبتدئ. حاول أن يقف بدراجته لكن فيصل لم يمهله، فقد دفع دراجته نحوه بقوة فأخل بتوازنه، وسقط أرضا بجانب دراجته، وسقطت حقيبته.

ضحك فيصل وعلق قائلا: "اتعلموها بقى".

نهض إيهاب، وجمع الأشياء التى تناثرت من حقيبته، ثم رفع دراجته، ولكن هناك أشياء سقطت منه ولم يستطع جمعها "فرحته الوليدة، وشعوره بالسعادة والرضا، وإحساسه بذاته". كل ذلك تبعثر، فسار ممسكا دراجته وقد امتلأت سماؤه بالغيوم.

سار حتى وجد مكانا مرتفعا، صعد إليه وركب دراجته... وساق حتى وصل إلى المدرسة.

★★★

تقدم الناظر المهيب عبد الغفار حسن، ووقف على المنصة "التى طلب تشييدها له لكى يكون فى مستوى أعلى من مستوى فناء المدرسة".

طافت نظراته على الصفوف.

صوت ضابط المدرسة الأستاذ حمودة ينطلق من مكبر الصوت مصدرا تنبيهات مختلفة.

صاح الأستاذ حمودة: كل فصل يقف أمامه الرائد، وامنع الصوت.

لكن التلاميذ لا تعبأ به، فاليوم الأول... هو يوم اللقاء بعد الفراق، ويوم التقاء الأشواق، فالجميع يتبادلون التحايا والأسئلة.

نظرات إيهاب تسيل حبا للأستاذ زيتون.

صاح الناظر: يكفى هذا.

زمجر الأستاذ حمودة، وارتفع صوته: مدرسة صفا... مدرسة انتباه.

عاد الانضباط إلى المدرسة.

وأعلن الأستاذ حمودة عن كلمة الناظر بمناسبة بداية النصف الثانى من الدراسة.

هنأ الناظر الناجحين، وحث المتخلفين للالتحاق بركب المتفوقين ثم أعلن عن تفعيل النشاط فى المدرسة، وتكوين جماعة الخطابة فى كل فصل، وجماعة القسم المخصوص، وفريق السلة وجماعة التمثيل، والاستعداد لمباريات آخر العام وتوزيع الجوائز.

ثم صاح: نشيد المدرسة ورفع العلم.

وهى اللحظة الفاصلة التى لا يسمح فيها لأحد بالحركة.

وبعد ذلك دقت الطبول... وصاح ضابط المدرسة: إلى الفصول سر بالحركة السريعة.

فى الفصل اكتشف إيهاب أن فيصل غير موجود.

فى نهاية اليوم عرف أن فيصل قد سعى من خلال والده إلى نقله لفصل أولى ثان مع الأستاذ ملاحظ الذى عينه ألفة الفصل.

★★★

لم يأذن الأستاذ زيتون لتلاميذ أولى ثالث بالانصراف فى ميعاد الفسحة الصغيرة.

احتج التلاميذ ضاحكين.

لأنهم يحبون الأستاذ.

قال لهم: الآن سنختار جماعة الخطابة... فمن يرشح نفسه.

ارتفعت بعض الأيدي، كتب الأستاذ أسماءهم، وتوقفت نظراته عند إيهاب، وسأله: وأنت يا إيهاب؟

- لا أريد.

- لماذا؟

ارتفعت همسات فى جو الفصل "تهته... تهته".

وحدّق إيهاب فى الأستاذ، وكأنه يقول له: ألا تعرف؟!

قال الأستاذ زيتون: جماعة الخطابة هى جماعة الإذاعة، وسنعتمد عليها فى مباريات آخر العام، وأنت يا إيهاب متفوق فى التعبير، وقد تكون من الذين يعانون مشكلة فى الإلقاء، لا يهم، المهم أن تعد أنت المادة، وغيرك يلقيها.

- هل أكتب اسمك؟

- نعم اكتب يا أستاذ.

وتم اختيار باقى الجماعات، ولم يشترك محفوظ فى أى جماعة ولم يطالبه أحد بالاشتراك.

لكن فى الفسحة الكبيرة، كان الميعاد لاختيار فريق السلة للفصل.

تقدم الكثير، ولم يتقدم محفوظ.

أشار إليه الأستاذ حموده وسأله: وأنت لماذا لا تشترك؟

- أنا؟... أنا؟

- نعم أنت، ما اسمك بالكامل، أنت معنا فى الفريق، بل وأنت تصلح لأن تكون فى فريق المدرسة.

- أنا؟!

★★★

Amly

نهضة العرب

٢١- ثورة نهى

فى جوف المساء

كانت نهى تصدر أنينا متحشرجا بالخوف.

إنها كانت تهبط عتبات النوم درجة درجة إلى عالم كابوسى تنسجه عواطف مهتزة تفتقد الأمان.

هى تسقط ببطء إلى هاوية لا قرار لها.

تمد يديها إلى منار، وتصرخ بصوت حبيس، وهناك طائر غاضب له عينان حادتان، ومنقار مقوس يطير نحوها شارعا مخالبه الحديدية.

منار... منار... منار.

سمع الأب صوت ندائها، وأضاء نور الحجرة.

فرأى جسدها يهتز، وترفع يديها، ووجهها يختلج بالألم. أمسك براحة يدها، وأخذ يناديها بهمس حتى أخرجها من دنيا اللاوعي، وأيقظها من الكابوس.

مُا إن رأته حتى انفجرت فى البكاء.

ومن خلال تشنجها نطقت كلمة منار.

قدم لها كوبا من الماء قائلا: اشربى يا حبيبتي... إنه كابوس.

شربت، وهى تنظر فى كل اتجاه.

طوقت رقبة أبيها بيديها، وهى تناديه بصوت مليء باللهفة والاستغاثة: بابا... بابا.

- نعم يا حبيبتي، إنه كابوس يا نهى، لا شيء يهددك يا حبيبتي، أنت فى أمان مع بابا.

- منار.

- ماذا بها منار؟!

Amly نهضة العرب

– أريدها.

– أتريدين منار؟

– ولا أحد غيرها.

– نامى الآن وغدا نحضرها.

xxxxx

فى صبح اليوم التالي.

قالت لزينب: أريد الذهاب إلى منار.

– ماذا؟!

– أين بابا؟ أريد منار.

صاحت الأم غاضبة: اصمتى يا نهى.

حملقت نهى، ووقفت ساكنة، ثم صرخت، وارتمت فى الأرض، وتحول الصراخ إلى نشيج وأنين.

صاحت الأم: أين الباشا؟ نادى الباشا يا زينب.

جرت زينب، ونزلت إلى مكتب الباشا، وقالت وهى مرتاعة.

– نهى يا باشا، تبكى وتصرخ وتتشنج.

ترك الباشا كل شيء وصعد.

– نهى... ماذا بك يا حبيبتي؟ بابا معك.

وحملها، وهى تبكي، وجسدها يتصلب.

صاح عبد الرحيم باشا: استدعى الدكتور محمود زعزوع.

نثروا عليها عطرا، وشممتها زينب بصلة.

فتحت عينيها، الحزن يرسب فى الحدقتين.

– أعدى كوبا من الينسون والنعناع إلى أن يحضر الطبيب.

قال الأب: نهى... سنذهب إلى منار... اهدئى وارتدى فستانا جميلا، وتناولى طعامك ثم نذهب لمنار.

- لا... أريد منار الآن.

قالت الأم معلقة: هل منار هذه ساحرة؟

أخذ الأب ابنته إلى حجرتها، وقال لهما: لا أحد يدخل علينا إلا الطبيب.

وضع الأب نهى على السرير، وقال لها: منار مريضة فى بيتها، وسنذهب إليها أنا وأنت، لكن يجب أن تلبسى فستانا جميلا.

نهى أصبحت فى حالة سكون كأنها لا ترى شيئا، ولا تسمع شيئا، وتصدر أنينا يوجع القلب.

سمع الأب طرقات على الباب، وأذن للطارق بالدخول. وقال بلهفة: الحقنى يا دكتور.

وكأنما أرادت نهى أن تبلغ شكواها للدكتور فصرخت مستغيثة لأنها شعرت أنهم انتزعوا منها الأمان، وانتزعوها من دنيا كانت تعدها بالحب والضحك وإثبات الذات.

منار فجرت مشاعر سحرية فى أعماقها.

وأعادت إلى دنياها المشوشة النظام والمعنى، فكيف يبعدونها عنها.

أعطاها الطبيب حقنة مسكنة، وطلب منهم إحضار منار.

★★★

قالت زينب لسيدتها: لا أحد يرد على التليفون.

- أخبرى الباشا بذلك.

قال الباشا: لها حق، فنحن تعاملنا معها بشكل غير عادل، وهذا خطؤك يا زينب، فاذهبى لاستدعائها.

- إلا أنا.

- هل تشعرين بالذنب؟

- وأطلب الغفران.

- دعى السائق يحاول إقناعها، قولا لها قولا لينا، هيا تحركي، انجزى هذه المهمة قبل استيقاظ نهى.

xxxxx

استقبلتها منار باسمة، فهى لا تعرف أن زينب هى التى كادت لها ورحبت بالأسطى مخيمر.

رحب الأب بهما، وقادهما للصالون.

قالت زينب: أنا آسفة، كنت كريمة معي، ولكن خفت من تعلق نهى بك، أنا فقيرة وجاهلة وخفت أن يستغنوا عن خدماتي، فدسست لك عند سيدتي، فاغفرى لي، وتعالى معنا إن نهى ستجن بسبب غيابك.

هتفت منار من أعماقها: يا حبيبتي!!

تشجع الأسطى مخيمر وقال لها: الباشا مستعد لأى ترضية تطلبينها.

صمتت منار قليلا، وانتظرت حتى شرب ضيفاها ما قدمته لهما، وقالت بصوت قاطع: أنا آسفة، لن أدخل هذا البيت مرة أخرى.

حاول الأسطى مخيمر أن يستأنف الكلام، أو يستجدى الأستاذ إسماعيل لإقناع منار.

لكن منار قالت له بحسم: أنا أشكر مجيئكما، وأنتما خارج الموضوع، وقرارى بعدم العودة نهائي.

★★★

ثارت إقبال هانم عندما عرفت بموقف منار.

لكن عبد الرحيم باشا أدرك أن منار شخصية واضحة الأهداف تحسب خطواتها بدقة، وردود أفعالها تخضع للكرامة والاعتزاز بالذات وبالأخلاق الكريمة التى تنبع من تدين مستنير.

دارت الأفكار فى رأسه متزاحمة، فى محاولة للوصول إلى حل قبل أن تستيقظ نهى.

وتنبه على صوت خادم يعلنه بقدوم الأستاذ عبد الوهاب زيتون.

لمعت عيناه، وبرقت فكرة فى ذهنه فى أن يرسل الأستاذ زيتون إليها، فهو الذى أحضرها.

أضفت هذه الفكرة حرارة، وعاطفة تسرى فى صوته وهو يرحب بالأستاذ زيتون.

ثم أخبره بما حدث بشكل مختصر ومحايد.

هز الأستاذ زيتون رأسه قائلا: أنا لا أعرف الأستاذة منار بشكل جيد، ولم أقابلها سوى مرة أو مرتين، وأعتقد أن الحل الوحيد، هو أن تذهب أنت يا باشا لإقناعها.

فكر الباشا قليلا، وقال: سنذهب معا.

★★★

وصلت سيارة الباشا الفاخرة إلى بيت منار وتوقفت.

رآها حسنى فحملق بدهشة فى الداخل.

إنه يرى عبد الرحيم باشا.

هل هو قادم إليهم؟!

أسرع وأخبر أباه.

جاء النائب جمعة، وهلل مرحبا: عبد الرحيم باشا... يا أهلا بالنور.

– أهلا يا جمعة.

– اتفضل يا باشا نور بيتنا.

– أسف يا جمعة، أنا قادم للأستاذة منار.

– منار ابنة أخي... يا أهلا وسهلا...

وحدّث جمعة نفسه "هل الباشا يريد الزواج من منار؟!" ومن هم الجالسون فى السيارة؟! ولماذا لم يخبرنى عن هذه الزيارة؟!

أكمل جمعة حديثه: أنا كفيل بإتمام أى أمر خاص بابنة أخى.

همس الأستاذ عبد الوهاب زيتون للباشا ببعض كلمات.

فالتفت عبد الرحيم باشا إلى جمعة وقال له: أشكرك كثيرا يا جمعة لكنها مسألة خاصة، أفضل التعامل معها منفردا، وإذا عصى الأمر سألجأ إليك، فأنت شريكى.

- لكن يا باشا

- قلت لك إنها مسألة خاصة.

ابتعد جمعة وهو نهب للشكوك والتخمينات.

★★★

استقبلت منار وأبوها الباشا والأستاذ زيتون فى الصالون.

بدأ الأستاذ الكلام قائلا: تعرفين يا منار هانم سبب مجيئنا، وأرجو أن تنسى ما فات، وتأتى معنا إلى تلميذتك.

نظرت منار إلى الباشا، فأحنى رأسه.

قالت منار: أنا آسفة، لن أذهب إلى بيت لا يرحب بي.

اندفع الباشا قائلا: نحن نرحب بك.

- وما حدث!

- أرجوك أن تنسيه.

- لن أقبل إلا اعتذار إقبال هانم شخصيا.

- ألا يكفيك اعتذارى؟!

- مع كل احترامى لسعادتك، فأنت لم تسئ إلىّ.

زيتون يرمقها بإعجاب، كلماتها واضحة، وثقتها بنفسها لا حدود لها، والشيء المذهل أن الباشا الشخصية الجبارة يتضاءل أمامها.

"إن الحق يرتفع بها إلى عنان السماء، يا لها من فتاة رائعة، هذه هى الزوجة التى أبحث عنها".

حدث زيتون نفسه، ونظراته تفيض حبا.

قال الباشا لها: أنا لم أرجُ أحدا، ومجيئى إليك هو اعتذار ورجاء، ومن عادتنا أننا لا نرفض رجاء من يدخلون بيوتنا.

قالت منار بشكل قاطع: إلا فى مسائل الكرامة يا باشا.

الأستاذ إسماعيل يتابع الحوار بذهول، هو يعرف أن ابنته شخصية قوية، لكنه لم يكن يعرف أن قامتها عالية إلى هذا الحد، وكاد يصرخ فرحا "هذه ابنتى يا جمعة".

وقف الباشا، وقال لها: اسمعى يا ابنتي، اسمحى لى أن أقول لك ابنتي.

"فقد أدرك أنه يجب أن يتحسس كلماته، وهو يتعامل معها".

قالت منار: ماذا يا باشا؟

- أريدك أن تذهبى للسيارة وحدك، وتعودى لنكمل حديثنا.

- لماذا السيارة؟!

- أرجوك أن تذهبى.

★★★

ما إن اقتربت منار من السيارة حتى فتح الباب.

واندفعت نهى جارية نحوها، وهى تصرخ شوقا وحبا

- أبلة منار... أبلة منار.

صوت الطفلة الملهوف فجر ينبوع الحنان فى قلبها، وتعامل مع عاطفة الأمومة الكامنة فى كل أنثى.

– نهى حبيبتى.

تقابلت الاثنتان، احتضنتها منار وسالت دموعها حبا ونهى تبكى وتصرخ... منار... منار... ومنار تقبلها وتهدئها وبدا نهى تتحسسان منار كأنها تتأكد من وجودها.

★★★

قالت منار: أنا أحب نهى و...

قال الباشا: هذا ما أريد أن أسمعه، وأريدك أن تبرهنى على هذا الحب.

– أنا قبلت على أن أدرس لنهى بشرط.

– كل شروطك مجابة.

– تأتى نهى إلى هنا يوميا لمدة أربع ساعات، ولا تأتى زينب معها، ولا يتدخل أحد فى طريقة معاملتى وتدريسى لها.

أما أنا فلن أدخل بيتكم إطلاقا.

★★★

٢٢- أهداف

قاعدة تعليمية تسير منار على ضوئها فى تعليم نهى والإشراف على محفوظ وإيهاب، بل وحرصت على أن تُعلِم إيهاب بالقاعدة التى تقول:

أ- (قل لى) بالتأكيد سأنسى، وهى ثقافة التلقين.

ب- (أرنى) قد أتذكر، وهى طريقة الوسائل الإيضاحية.

جـ- (أشركنى) سأتعلم وأتذكر وأستمتع.

وتوسلت منار بالحكايات للوصول إلى عقل نهى النائم فجعلها تنحصر فى ذاتها ونزواتها ورغباتها وجعلها تنحصر فى عالم حسى وجزئى ومباشر.

كانت تريد أن توقظ عقلها عن طريق الحواس والخيال وحولت كل وسائل التعليم إلى نوع من اللعب الممتع وحكت لنهى حكاية الطيور.

وهى تجلس مع إيهاب ومحفوظ ونهى فى حقل قريب قالت لهم: اجتمع النسر ملك الطيور مع الطيور ذات الألوان المميزة منهم أبو قردان بلونه الأبيض، والغراب بلونه الأسود، والديك ذو العرف الأحمر، وعصفور لونه أزرق، وعصفور لونه أخضر.

كان يريد أن يختار منهم رئيسا يحل محله لأنه قرر الطيران إلى بلاد بعيدة.

قال النسر لهم: أنا لا تهمنى ألوانكم، أنا أهتم بعملكم ومجهوداتكم، ومن يبذل مجهودا أكثر هو الذى سنختاره رئيسا.

سأل إيهاب: وكيف يعرف ذلك؟

قالت منار: تعالوا معى سأريكم شيئا.

وأخذتهم إلى خمس أوانٍ ملونة:

الآنية الأولى لونها أبيض، والثانية لونها أسود والثالثة لونها أحمر والرابعة لونها أزرق، والخامسة لونها أخضر.

سأل محفوظ: ما هذه؟

- إنها مخازن، سنجمع فيها أشياء ملونة.

المخزن الأول لأبى قردان سيجمع فيه كل شيء أبيض.

والمخزن الثانى للغراب سيجمع فيه كل شيء أسود.

والثالث للديك والرابع للعصفور الأزرق والخامس للعصفور الأخضر.

لم تفهم نهى شيئا، وتشتتت نظراتها، وبدأت تصدر حركات عصبية، احتضنتها منار، وقالت: أنا ونهى سنختار العصفور الأزرق، وقال إيهاب: أنا أبو قردان، وقال محفوظ: وأنا الغراب.

قالت منار: تعالوا معي.

وأخذتهم عند شجرة، وجدوا عندها ألعابا من البلاستيك وكورا وبليا، ومكعبات... كميات ملونة... بيضاء وسوداء وحمراء وخضراء وزرقاء.

قالت منار: إيهاب... يأخذ كل شيء أبيض يضعه فى الإناء الأبيض وفى كل مرة يأخذ شيئا واحدا.

ومحفوظ يأخذ كل شيء أسود يضعه فى الإناء الأسود.

وأنا ونهى سنأخذ كل شيء أزرق نضعه فى الإناء الأزرق ومن ينتهى أولا يصبح ملكا للطيور.

هيا نبدأ، وجرت منار مع نهى وقالت لنهى: امسكى هذه الكرة الزرقاء، وجرت معها ووضعتها فى الإناء الأزرق. ثم قالت لها: امسكى هذا المكعب الأزرق... ونضعه فى الإناء الأزرق... وهكذا... استطاعت أن تجعل نهى تعرف اللون الأزرق، وضحك محفوظ وقال: أنا ملك الطيور لأنى ملأت الإناء الأسود قبل الجميع.

لاحظت منار أن محفوظ جلس عند الشجرة، ويمسك اللعبة السوداء ويقذفها إلى الإناء الأسود ويصيب الهدف، ولم يخطئ وبهذه الطريقة سبقهم فى ملء إنائه.

اعترض إيهاب على هذه الطريقة، واعترضت منار، وشرحت لمحفوظ، وإيهاب أن المقصود من اللعبة هو تعريف نهى بالألوان المختلفة.

وقضت نهى وقتا سعيدا، وهى تجرى لتضع ما فى يدها فى الإناء الأزرق، ثم تبادلوا الأماكن مرات عديدة إلى أن عرفت نهى التمييز بين كل لون.

وباستخدام المقص والورق الملون صنعت نهى أشكالا مختلفة بمساعدة منار، واستخدمت معها المكعبات واللدائن.

كانت منار تقوم بالعمل أولا، وتفسره لنهى، ثم تعمله معها، ثم تطلب منها أن تعمله منفردة.

ففى اللوحات الناقصة، تقول لها هذه اللوحة فيها الفواكه وتنقصها فاكهة واحدة، هذا مكانها... إنه عنقود العنب، هيا نضع عنقود العنب ونرى، ثم تسألها: ما الناقص فى هذه اللوحة، فتصيح نهى: العنب، وتسألها منار كأنها لم تسمع:

- ماذا قلت؟

- العنب.

- شاطرة، هيا ضعى عنقود العنب فى مكانه.

فتضعه نهى، وتصفق لها منار وتحضنها وتقبلها وتصيح:

- شاطرة نهى.

أنقذت منار روح نهى من الكسل والخمول والركود واللامبالاة والعبث، ووجهت نشاطها نحو المعرفة واللعب المفيد للعقل والجسد والروح، فانتشت نهى، وهى تشعر بعالم أليف يحتضنها ويشجعها ولا يسخر منها أبدا.

★★★

أحضرت منار لنهى دفترا ملونا جميلا

وقالت لنهى: هذا دفتر النجوم الذهبية.

ضحكت نهى، وسألت: أين النجوم الذهبية؟

أخرجت منار من حقيبتها نجوما لونها ذهبي، وهى من الورق اللاصق.

وقالت لنهى: عندما تنجحين فى كتابة حرف أو معرفة لون سألصق لك نجمة فى الدفتر.

قالت نهى وهى سعيدة: ألصقها أنا.

- وعندما تجمعين خمسة نجوم احكى لك حكاية...

- احكيها الآن.

- أو نذهب للسينما.

- نذهب للسينما.

- أو نركب القطار إلى مدينة ملّوي.

- نركب القطار.

- أنت ستختارين ما يروق لك.

- أنا يروقنى كل شيء.

★★★

فى الاجتماع الأول لجماعة الخطابة والإذاعة والصحافة وهى جماعة واحدة لقلة عدد المشتركين.

قال إيهاب: أنا سأتولى الصحافة، وكتابة ما يلزم من حوارات مع تلاميذ متفوقين، وتلاميذ غير متفوقين، وتلاميذ موهوبين فى الرسم والشعر، ومع ناظر المدرسة وأخبار التلاميذ، وأى نشاط آخر.

سأله الأستاذ زيتون المشرف العام على الجماعات: وهل ستلقى كلمة الصباح، وتشترك فى مهرجان الخطابة؟

- آسف لا أستطيع.

- لماذا وأنت تلميذ متفوق وقارئ ممتاز.

- أنا لا أجيد الإلقاء.

ابتسم بعض التلاميذ بسخرية.

قال الأستاذ زيتون: أنت تكتب الخطبة وحمدى يلقيها، وتكتب كلمة الصباح وأيضا حمدى يلقيها.

وكان حمدى يحسن الإلقاء فعلا، وقد دربه والده الشيخ عبد الباقى مدرس العربى والدين وخريج الأزهر على الإلقاء والاهتمام بمخارج الألفاظ وتشكيل الكلمات حسب قواعد اللغة وأصبح حمدى هو المذيع والخطيب المعترف به.

أما إيهاب فقد آثر أن يقوم بدور التحرير لما سيلقيه حمدى أو يذيعه من أخبار.

★★★

وفى مباراة لتدريب فريق الفصل لكرة السلة، أحرز محفوظ أربعة عشر هدفا وحده.

بل ولاحظ الأستاذ حمودة أنه يكفى أن تصل الكرة ليد محفوظ ليتأكد من إحراز هدف محقق.

فالولد لا يخطئ الهدف أبدا بالرغم مما يبدو عليه من تشتت.

نهضة العرب

Amly

٢٣- نجاح وفشل محفوظ

أنفاس الفجر النقية مسربلة بالأحلام.

استيقظ إيهاب، وسار إلى الحمام واغتسل، وتوضأ وصلى الفجر، قلبه ممتلئ بأفكار عذبة.

فقد نجحت منار فى نثر أريج الحب فى البيت، وطاردت عناكب الوحشة والركود من أركانه.

وبعثت الحيوية فى روح أبيها، فعاد إلى الابتسام وقراءة القرآن، وقراءة الصحف، والاستماع إلى حوارات التلفاز.

ضحكات نهى أجراس للسعادة تبدد سكون الخواء البليد والصمت الشاحب الذى ساد البيت قبل مجيء منار.

عصافير الربيع تخرج من نافذة الصباح لتغنى لأشعة الشمس الذهبية.

وإيهاب يقود دراجته بثقة وإحساس قوى بالذات ينمو مع كل نجاح يحققه.

وفى الفصل... اتجهت كل النظرات نحو الأستاذ زيتون.

وأصبح الهواء مشحونا بالتوقعات لأن الأستاذ سيوزع عليهم نتيجة الشهر.

صاح أحدهم، وهو يخفى نفسه: لا نريد شهادات يكفى مرة واحدة فى العام.

ابتسم الأستاذ زيتون ونادى: إيهاب إسماعيل الأول كالعادة.

انطلقت الأصوات معلقة: بيه... بيبه.

وخرج إيهاب بثقة وتسلم شهادته، والأستاذ زيتون يبتسم بكل وجهه

- مبروك يا إيهاب، أنت تستحق.

ثم أخذ الأستاذ ينادى على كل التلاميذ، ثم توقف، وتركزت نظراته على محفوظ الذى وجف قلبه، وشعر بعاصفة خانقة تهب عليه، وأخفى رأسه، وتمنى لو هرب من الفصل.

ما هذا؟! الأستاذ زيتون يبتسم، هل هى ابتسامة ساخرة أم شفقة أم ماذا؟!

الأستاذ ينطق كلمة محفوظ.

ضربات قلبه متسارعة، صوته خافت: نعم يا أستاذ.

– مبروك، شيء غريب، لم تسقط في أي مادة، أنت المفاجأة، صفقوا لمحفوظ.

كيف غادر جسده، وصعد للسماء؟!، ما هذا الخدر السماوي الذي يسري في كيانه؟!، دموع صغيرة تلمع في عينيه.

خرج محفوظ، وهو لا يشعر بخطواته، وتسلم الشهادة، وتمنى لو قبل الأستاذ.

الفرحة كللت وجهه بنظرات لم يعهدها من قبل.

تمنى لو ينتهي اليوم في هذه اللحظة، ويعطى الشهادة لمن؟! للأستاذة منار فهي التي قادت خطاه، وأيقظت الدوافع في روحه الخاملة، وأنارت الهدف في طريقه المظلم.

بعد أن انتهى الأستاذ من توزيع الشهادات قال لهم:

– يوم الخميس القادم ستحدث مباراة ودية بينكم وبين أولى ثان.

– هيه... هيه!!

صاح التلاميذ فرحين.

– أرجو أن تحققوا فوزا عليهم، كما يجب أن تتدربوا استعدادا لهذه المباراة.

تأخر محفوظ مع فريقه للتدريب.

وفي طريقه للخروج فوجئ بوجود فيصل مع مجموعة من تلاميذ أولى ثان.

تقدم فيصل إليه، وسار بجانبه والتف عدد من التلاميذ الموالين لفيصل حول محفوظ.

سأل فيصل محفوظ: هل أنت صديق لإيهاب؟

– نعم.

– وهل أنت الذي ساعدته في ركوب العجل؟

تشتتت نظرات محفوظ، وهو يشعر باقتراب الخطر وقال فى محاولة للاستكشاف: نعم، وهذا لا يعنيكم.

قال فيصل: اسمع يا محفوظ، أنت تعرف أن أبى عضو مجلس شعب، وأنا ابنه رئيس فريق أولى ثانٍ، ولابد من فوزنا، ومصرون على ذلك.

- وما دورى أنا فى هذا؟

- نريد ألا يكون لك دور فى اللعب.

- كيف؟ وأنا عضو فى الفريق؟

- لا تحقق أهدافا.

- ماذا؟

- سمعت؟

- وإذا لم يحدث؟

- سنضربك ونضرب إيهاب، ونوقعه بعجلته ولن يعود إلى بيته سليما.

رأى محفوظ أن يسايرهم، ثم يبلغ الأستاذ حمودة أو الأستاذ زيتون.

وكأن فيصل قرأ ما يدور فى رأسه، فقال له: إذا أبلغت أى إنسان بما دار بيننا سيكون العقاب مضاعفا، ونحن طبعا سننكر، ونوقع العقاب بك وبإيهاب وبجدتك أيضا.

★★★

ذهب محفوظ إلى بيت إيهاب، ورأت منار نتيجة الشهر، فابتسمت وقالت: مبروك، هذه هى البداية، أنت لم ترسب فى أى مادة، والمطلوب أن تتفوق بعد ذلك.

لاحظت منار أن محفوظ غير سعيد.

وأن وجهه خال من المشاعر.

ونظراته خاوية.

فسألته: ماذا بك؟

- أين إيهاب؟

- سألتك ماذا بك؟

- لا شيء، أين إيهاب؟

- هل حدث شيء لجدتك؟

- لا شيء، أين إيهاب؟

- إيهاب فى حجرته.

نظراتها تتعقبه وهو يدخل إلى إيهاب، وهاجس يلح عليها "هذا الولد يخفى شيئا".

★★★

تجمع كثير من التلاميذ فى الملعب لمشاهدة مباراة كرة السلة بين أولى ثانٍ، وأولى ثالث.

واجتمع الأستاذ زيتون بفريق فصله، وقال لمحفوظ: الأمل معقود عليك أنت.

ثم خاطب باقى الفريق طالبا منهم أن يقنفوا بالكرة لمحفوظ ليحقق الأهداف.

ومحفوظ صامت، حتى أن الأستاذ سأله: ماذا بك؟

- مريض.

- كيف وأنت مثل الحصان؟!

- لعله خائف يا أستاذ.

واجتمع الأستاذ ملاحظ مع فريق فصله، وطلب منهم محاصرة محفوظ، وملاحقته، ومنع الكرة من الوصول إليه، وشدد عليهم الطلب بالفوز.

وبدأت المباراة.

ولاحظ الجميع أن محفوظ بطيء الحركة، ويسمح لآخرين بمحاصرته، ولا يبذل مجهودا لالتقاط الكرة. وبالرغم من ذلك حقق هدفين، حتى أن فيصل نظر إليه بقوة، واقترب منه هامسا: أنت الجانى على صديقك.

وفى نهاية الشوط الأول كان فريق فيصل متفوقا بعدد قليل من الأهداف.

وعنف الأستاذ زيتون محفوظ، وسأله متعجبا: ماذا بك؟

وطالب بعضهم باستبعاده.

وردد محفوظ بضعف: أنا مريض.

فتم استبعاده.

وطلب محفوظ من إيهاب أن يغادرا المدرسة، ورفض إيهاب بل وعنف محفوظ قائلا: أنت غير طبيعي، ولم تلعب كما يجب... لا أدرى لماذا؟

- أنا مريض.

- أنت لست مريضا، بل ولم تكن فى مستوى المسئولية.

- دعنا من هذا، ولنغادر.

- لن أغادر اذهب أنت.

- لا... لن أتركك تغيب عن عينى.

★★★

فاز فريق أولى ثانٍ، وتعرض محفوظ للوم والسخرية من تلاميذ فصله، ولكنه التزم الصمت، وطلب من إيهاب أن يسوق هو الدراجة ويأخذ إيهاب أمامه وألح فى طلبه إلى أن وافق إيهاب.

الأفكار تدور فى رأس إيهاب، محفوظ كان يتعمد عدم إحراز أهداف، وكان يلح فى أن يغادر المدرسة، ولا نرى المباراة ويتعلل بالمرض، وهو غير مريض، ويصر على قيادة الدراجة هذه أشياء مترابطة خلفها سبب واحد هو أن محفوظ تم شراؤه.

التفت إيهاب إلى محفوظ، وسأله: كم دفعوا لك؟

- ماذا تقول؟... من؟

- فيصل وفريقه، ماذا دفعوا لك؟

– لم يدفعوا شيئا.

– هناك من رآك تتفق معهم.

نظر محفوظ إلى إيهاب بعمق وعتاب.

قال إيهاب: قل لى سببا واحدا منعك من إحراز الأهداف.

نظرات محفوظ إلى صديقه تسيل حبا، وقال بهمس: أنت.

– أنا؟! لا أفهم شيئا.

– هددنى فيصل وتلاميذ فصله بإيذائك فى حالة فوز فريقنا.

– لماذا لم تبلغ الأستاذ زيتون؟

صاح محفوظ بضجر وغيظ، كأنه ينفض عنه جبالا من الضيق.

– خفت عليك.

ثار إيهاب وصاح: لست صغيرا أو ضعيفا، يجب أن تبلغ الأستاذ زيتون.

– لا فائدة من ذلك الآن إلا إثارة غضب فيصل.

زادت ثورة إيهاب، وصاح فى محفوظ.

– فيصل... فيصل... أنت جبان ولا فائدة منك، هيا قف بالدراجة، واذهب لا أريد رؤيتك.

★★★

٢٤- حكاية السمكة الصغيرة

نسمات الربيع الواهية تداعب الوجوه بحنان.

وأشعة الشمس الشاحبة التى فقدت كثيرا من حرارتها أثناء تجوالها فى الكون تدعو القلوب المتعبة للبهجة.

اقترحت منار على أبيها وإيهاب ونهى الذهاب إلى جدول المياه الموجود أمام بيتهم لصيد السمك.

شقشقات العصافير المعششة فى شجرة التوت رحبت بقدومهم. كل منهم يمسك صنارة ويلقى بخيطها إلى الماء.

منار ونهى يشتركان فى صنارة واحدة.

اصطاد الأب سمكة بلطي، ففرح الجميع، وجرت نهى لترى السمكة وأشارت إلى عينيها وهى تقول ضاحكة: عينها.

لمست نهى جسم السمكة بحذر شديد، وأعصابها مشدودة ونادتها: سمكة... أنا نهى.

تحركت السمكة، ففزعت نهى، لكن منار أمسكت بيديها وقالت لها بهدوء: لا تخافي، إنها سمكة صغيرة ستلعب معك، وأنت ستصطادين سمكة كبيرة.

- أنا؟!

- نعم، تعالى، السمكة تناديك.

- أين؟

- هربت، ناديها.

- سمكة... تعالى يا سمكة.

ضحك الجميع، وألقت منار بالخيط فى الماء وأمسكت بالعصا مع نهى، وبيدها الأخرى احتضنت نهى حرصا عليها.

قال إيهاب: سأذهب للمذاكرة.

تحرك فى طريقه للبيت ونهى تراقبه، ثم قامت وأخذت تسير بعرج مقلدة إيهاب، ونادته: إيهاب... إيهاب... انظر إليّ.

نظر إيهاب إليها وغرق فى الضحك.

وضحكت منار وأبوها ونهى.

ضحك منار له طعم الرضا والسعادة، كانت خائفة من رد فعل إيهاب وحساسيته ففوجئت بضحكاته التى ترجمتها بأن إيهاب تجاوز طور الحساسية من عرجه، وهذا سينسج سلاما داخليا فى أعماقه، وسيقوى حصونه فى مواجهة عواصف الأيام، وحركات نهى تدل على يقظتها، وتفاعلها وتحررها من القيود التى جمدت عقلها ووجدانها.

واستقرت نظراتها على وجه أبيها فرأت علامات اطمئنان راسخة تطل من عينيه، فحمدت ربها على نعمه.

تذكرت شخصا آخر، أين هو؟ نادت إيهاب وسألته:

– أين محفوظ؟

– فى بيتهم.

– لماذا لا يذاكر معك؟

– نحن فى خصام.

– ما سببه؟

– سأحكى لك فيما بعد.

– لا، تعال احك الآن.

استمعت منار لما حدث من محفوظ باهتمام، وسألت إيهاب:

– ولماذا خاصمته؟

– إنه جبان، وخان الفريق، وكان سببا فى هزيمتنا.

– هذا ولد نادر وشجاع ووفي.

– كيف؟!

– من حرصه عليك وحبه لك ضحى بسمعته، وتحمل الإيلام والإهانة خوفًا من أن يصيبك أى مكروه.

– ولماذا لم يبلغ الأستاذ زيتون بالأمر؟

– هو تصرف بما اعتقده فى صالحك.

– لا، إنه أخطأ.

– هناك فرق بين الخطأ المقصود، والخطأ الناتج عن حب أو حرص، إنه صديق نادر.

– وبماذا تشيرين علىّ يا أبلة؟

– اذهب فورا بدراجتك، واعتذر له وأحضره معك.

★★★

أشارت الجدة إلى الداخل، ونادت بصوت واهن: إيهاب يا محفوظ.

دخل إيهاب فوجد محفوظ يذاكر أمام الطبلية.

ما إن رآه حتى ضحك وقال له: كيف عرفت؟

– عرفت ماذا؟

– إنى موحول فى حل تمرين هندسة.

– أنت طول عمرك موحول.

قام محفوظ فاردا يديه وقال ضاحكا: طيب هات وحلة.

احتضنه بحب، ورفرفت القلوب برعشات حب صافية.

قال إيهاب: هيا نذهب إلى أبلة منار.

★★★

صاحت نهى: محفوظ وإيهاب.

منار تسعد لكل كلمة تنطقها نهى، وقبلتها تريد أن تسقيها الحنان لتروى عطش القلب الصغير.

قالت نهى: هيا احكى الحكاية يا أبلة.

رحبت منار بمحفوظ، واثنت على موقفه من إيهاب وطالبته بإبلاغ الأستاذ زيتون بما حدث.

ونهى لا تكف عن المطالبة بالحكاية.

- الحكاية يا أبلة.

- صلى ع النبي.

- هيه.

فالكلمة مرتبطة ببداية الحكاية والتحليق فى عالم الخيال البهيج.

قالت منار: هيا اجلسوا استمعوا للحكاية ثم اذهبوا للمذاكرة.

احتجت نهى قائلة: لا... نريد الحكاية.

- كان يا مكان... فى سالف العصر والأوان... كان فيه سمكة صغيرة.

- ما اسمها؟

- نهى.

- مثل اسمي.

- كانت تعيش مع أمها... فى بيت من الصدف وأم السمكة كانت تحبها وتخاف عليها، وتقول لها.

- اجلسى فى البيت ولا تخرجى حتى لا يأكلك السمك الكبير.

تقلص وجه نهى تأثرا.

- السمكة الصغيرة تجلس فى البيت وتنظفه ثم تنظر من النافذة الزجاجية فترى سمكا أحمر.

نهى: – أريد سمكة حمراء

– وترى سمكا أخضر.

نهى: – أريد سمكة خضراء.

– وترى سلحفاة برية، وترى سمكة كبيرة، وترى سمكة صغيرة... الجميع يسبحون فى الماء فى حركات مختلفة.

فتنادى السمكة الصغيرة عليهم، وهم يغمزون بأعينهم لها، ويقولون لها: تعالي... لماذا تمكثين فى البيت؟

وذات يوم قررت السمكة نهى أن تخرج، ففتحت باب الصدفة، وسبحت نحو سمكة لها ألوان كثيرة وأيضا لها أشواك كثيرة.

قالت السمكة الصغيرة لها: أريد أن ألعب معك.

– لا... ابتعدى من هنا، فأنا أبحث عن أطفالي.

ورأتها سمكة كبيرة فأسرعت نحوها، وهى تفتح فمها لابتلاعها.

خافت السمكة نهى، واختفت خلف صخرة، ولم تخرج من مخبئها إلا بعد أن اطمأنت لابتعاد السمكة الكبيرة.

وجاءت سمكة بلطى صغيرة وطلبت منها أن تلعب معها ولعب الاثنان، لكن جاءت سمكة لها شوكة كبيرة وجرت خلف السمكة نهى تريد أن تصطادها.

فغطست السمكة نهى وأفلتت من السمكة التى لها شوكة.

ثم شعرت السمكة نهى برغبة فى النوم، وأرادت العودة إلى البيت، فلم تعرف الطريق.

سألت أخطبوطا عن مكان بيتها، فقال لها: اقتربى منى لأقول لك.

وما أن اقتربت منه حتى مد أذرعه لكى يمسكها، لكنها تنبهت وهربت، وتابعها الأخطبوط، وهى تصرخ والأخطبوط نفسه صرخ لأنه شعر بشيء يصطدم برأسه وصاح متألما: ما هذا؟!

قالت أم السمكة نهى: ابعد عن ابنتى وإلا سأضربك بقوقعة أخرى.

وجرت السمكة نهى إلى أمها التى احتضنتها وعادت بها إلى البيت، وقالت السمكة نهى: أنا آسفة يا أمي، لن أخرج من البيت مرة أخرى.

قالت السمكة الكبيرة: لا يا حبيبتي، أنت يجب أن تخرجى وتتعلمى كيف تحصلين على طعامك، ويكون لك أصدقاء تلعبين معهم، وأنا سأعلمك كيف تحافظين على حياتك...

وأصبحت السمكة الكبيرة تصطحب معها السمكة الصغيرة وتعلمها كل شيء، وساعدتها على أن يكون لها أصدقاء.

وعاشت السمكة سعيدة مع أمها وصديقاتها وتوتة... توتة... فرغت الحدوتة.

- احكيها تاني.

- سيحكيها إيهاب.

- لا نحن سنذهب للمذاكرة.

- أنا سأحكيها لك يا نهى.

- بابا... بابا.

- نعم يا سمكتى الصغيرة.

التفت الأب عبد الرحيم باشا إلى المجموع الذين رحبوا به كثيرا، وصافح محفوظ...

فقالت نهى له: محفوظ... أنقذنى فى يوم سابق.

- أنا أعرف يا حبيبتي... أنا أعرف، جميعهم أنقذوكى وأسعدونى.

★★★

٢٥- زيارة خاصة جدا

انطلقت زغرودة من "مبروكة" لتعلن حدثا سعيدا متوقعا. فقد أسر إيهاب لأبيه أن الأستاذ زيتون سيأتى لزيارتهم اليوم مع والديه.

هذه الزيارة ليس لها إلا معنى واحد صريح، فالأستاذ زيتون من طنطا، وعلاقته بهم ليست حميمة بحيث تسمح بزيارته مع والديه لهم إلا لسبب خاص جدا يتعلق بابنته منار.

بالرغم من أن هذا تفكير منطقى إلا أن الأستاذ إسماعيل لزم الحذر، لأن له سابقة مع الأستاذ زيتون.

لا باس من تنظيف البيت، والاستعداد بمأكولات ومشروبات خاصة، وارتداء ملابس ثمينة، وتكليف إيهاب ومحفوظ بملازمة حجرة إيهاب. و... غصة فى القلب... بعثت بتيار من الحزن يسرى فى أوصاله عندما تذكر رفيقة العمر، وريحانة البيت، ما أحوج منار إليها فى هذا اليوم. وابنتى هذه... أين صديقاتها؟! لماذا لا أراها تسلك مسلك الفتيات من اعتناء بالمظهر والملابس؟!

تأخذ حياتها بجدية بالغة... تهتم بى وبأخيها وبنهى وبهذا الولد الذى التصق بنا المسمى محفوظ، ولا تفكر فى نفسها أو فى الزواج.

اليوم... كان يجب أن تأخذ زينتها، حدثتها برفق وطلبت منها أن ترتدى زيا خاصا، فابتسمت وقبلتنى وقالت لي: لا تخف يا أستاذ إسماعيل، ابنتك حلوة طبيعي، ثم ما أدراك أن هناك خطبة، فقد يكون الأمر مجرد تعارف. تيار من الشك سرى فى أوصاله، فقال بغيظ:

- مجرد تعارف؟!

- نعم، فالأستاذ زيتون يعتبر نفسه صديقا للعائلة.

قال الرجل بغضب طفولى كأنه ينفى شيئا:

- ليس صديقا للعائلة، ولا نريد معرفة أحد.

توقف الاثنان عن الكلام لسماعهما صوت حنطور يقف أمام البيت.

★★★

فى الصالون، طافت نظرات الأستاذ إسماعيل على ضيوفه ليتأكد من الهدف الحقيقى للزيارة. الأب يرتدى عباءة فاخرة... والشتاء قد ولى... فهى عباءة للمناسبات والتظاهر. والأم ريفية معلنة عن نفسها بكمية من الذهب، هذا الإعلان لا محل له إلا فى مناسبة خاصة جدا.

والأستاذ عبد الوهاب يرتدى حلة فاخرة لم يره فيها من قبل.

حاول الأستاذ إسماعيل أن يطمئن على نفسه، فسعل سعلات قصيرة كأنه يطرد سُحُب الشك وقال مرحبا: أهلا وسهلا.

قال والد الأستاذ عبد الوهاب: جئنا للتعارف.

"آخ!! صدقت منار، وضاعت الفرحة، وحلت الخيبة ألا خيبة الله عليكم وعلى التعارف".

قالت أم الأستاذ: أين عروستنا؟

"ماذا قالت؟... هل هذه كلمة عابرة؟ أم كلمة حقيقية"

تنهد الأستاذ إسماعيل لكى يعيد التوازن إلى مشاعره، ونادى:

– يا مبروكة... نادى على سيدتك الأستاذة منار.

بهذه الجملة حاول أن يظهر لهم وضعا اجتماعيا متميزا.

قال والد الأستاذ: ابنى عبد الوهاب شاب متدين، ويحب الطريق المستقيم، وهو متخرج فى كلية العلوم.

قال عبد الوهاب مصححا: كلية دار العلوم يا أبي.

– وما الفرق؟ هل تختلف فى الراتب؟ أو الوظيفة؟ المهم إنك مدرس.

توقف الأب قليلا ثم قال: لا أدرى ماذا يعجبهم فى الوظيفة، لا يوجد أفضل من التجارة، أليس كذلك يا إسماعيل أفندي.

قال الأستاذ إسماعيل: أنا كنت موجها للغة العربية.

– وجيه للغة العربية؟ كيف؟!

– مفتشا للغة العربية.

قال الرجل ضاحكا: – كلها وظيفة والسلام.

شعر الأستاذ إسماعيل بالامتعاض، ولم يعجبه سير الكلام لكن مجيء منار أنقذه.

وقفت الأم وأخذت منار فى حضنها وأمطرتها بالقبلات وهى تتمتم بكلمات متداخلة "أهلا عروسة ابني، يا أرض احفظى ما عليك، صبرت ونلت يا عبد الوهاب، بدر منور يا بنتي، تعالى جانبي".

موجة من الفرح ملأت قلب الأستاذ إسماعيل، هذه المرأة تختلف عن زوجها. وطغت الموجة وفاضت عندما قال والد الأستاذ:

– نريد القرب منك يا أستاذ إسماعيل.

"أخيرا نطق الحجر، فهدأت مشاعره الثائرة".

زغردت مبروكة وهى تقدم الحلوى، ففى لحظة دخولها سمعت الرجل، وهو يطلب القرب. فانطلقت تريد أن تملأ الدنيا فرحة.

– ماذا يحدث هنا؟!

توقف المشهد، وسكنت الحركة، وفزعت النظرات المتجهة إلى حسنى الذى يقف عند باب الصالون متسائلا.

انتفض الأستاذ إسماعيل غاضبا، ووقف صائحا.

– كيف دخلت هنا يا ولد؟

– كان الباب مفتوحا، وسمعت زغاريد فجئت لأعرف.

– وما دخلك أنت؟

– أنا ابن أخيك، وجاركم.

قال والد الأستاذ: أهلا بك يا ابني، نحن جئنا لخطبة ابنة عمك لابني.

قال حسنى منفعلا: هذا لن يكون أبدا.

صاح الأستاذ إسماعيل بقوة أسد يتأهب للانقضاض:

- اخرج من هنا يا ولد.

قال حسنى وهو يتحرك للخروج: فليعلم الجميع أن منار لن تكون عروسا إلا لى حتى ولو سالت فيها الدماء.

انتفض والد الأستاذ عبد الوهاب، وللم عباءته، وغمغم منفعلا: "دماء... دماء... صعايدة... ويعملوها".

ونظر إلى زوجته وابنه وقال: طنطا ممتلئة بالبنات.

★★★

ملأت غيوم الكدر جو البيت. وفى حجرتها التزمت منار الصمت.

وغاص قلبها فى الامتعاض الآسن. أما الأستاذ إسماعيل فقد احتضن أحزانه فى وجوم والتجأ إلى القرآن ملتمسا العزاء فى كلام الرحمن.

★★★

هل المشهد كان ناقصا لبعض عوامل التوتر ليكون مشهدا ساخنا؟! فقد جاءت مبروكة إلى الأستاذ إسماعيل وأخبرته بوجود أخيه النائب جمعة فى حجرة الاستقبال. دخل الحجرة صامتا واجما.

وقف أخوه، وقال مبتسما: السلام عليكم.

- وعليكم السلام، هل عرفت بما حدث من ابنك؟

- ولد قليل الأدب ويحتاج لتربية.

ارتاح قليلا لكلمات أخيه، فقد يكون هناك أمل لتدارك الأمر، فتنهد وجلس. قال أخوه: اعذره يا أخي.

- أعذر من؟!

- ابن أخيك.

- كيف؟!

Amly نهضة العرب

– الولد رأى من اعتدى على حقه فى ابنة عمه.

– حقه فى ابنة عمه؟!

– نعم... هذه عادتنا.

– ماذا تريد يا جمعة؟

– جئت لإصلاح الأمر، وطلب يد منار لابنى حسني.

– منار التى ستحصل على الماجستير لحسنى الذى لم يكمل تعليمه الإعدادي.

– البنت... بنت يا أخي، ومصيرها الزواج.

– هذا لن يكون أبدا.

أخرج جمعة ورقا من جيبه، وقدمه لأخيه قائلا:

– بل هذا ما يجب أن يكون، وإلا يجب أن تبحث لك عن مسكن آخر.

– ماذا؟!

– اقرأ الورق، ولك أن تختار.

إما زواج منار أو ترك المكان.

دخلت منار كالشبح، ووجهها خال من الحياة ونظرت فى الورق طويلا

وقالت: فلنؤجل كل شيء للدراسة والتشاور إلى آخر العام.

صاح أبوها منفعلا: منار... ماذا تقولين؟!!

★★★

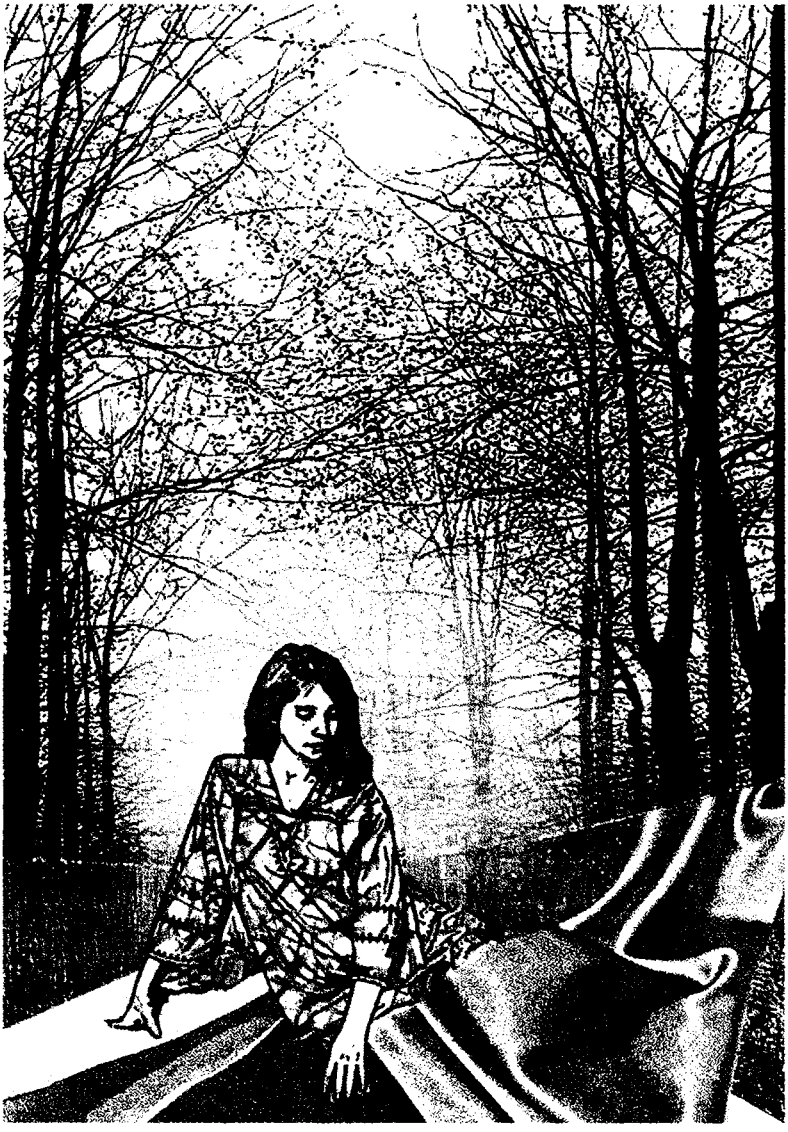

٢٦- احتفال نهاية العام

بدأت منار تشعر بالرضا لأن منهجها فى التعليم عن طريق المشاركة وإيقاظ الحواس والتعامل معها... أظهر تقدما مع نهى، فها هى تنطق جملا كاملة، وتتعرف على الأشياء وألوانها.

كما أن محفوظ نجح فى الشهر التالى بدرجات متوسطة.

أما إيهاب فهو يحافظ على تفوقه بشكل مذهل.

أدركت منار أنها أيقظت الشخصية القوية الكامنة فى نفس كل منهم. وهو ما كانت تسعى إليه قبل نهاية العام.

لأنها قررت أن تعود للكويت لتكملة بعثتها، وتحسين وضعها المالى لتحرير الأرض والبيت والأب من سلطان العم وابنه.

أنفاس الصيف الحارة لفحت الوجوه.

وبدأت الاستعدادات لاحتفالات آخر العام، وأيضا للامتحانات.

قال الأستاذ زيتون: عليك يا إيهاب أن تكتب الخطبة التى سيلقيها حمدي.

ثم التفت إلى محفوظ قائلا: وأنت يا محفوظ تدرب مع فريق السلة، وأرجو أن ترفع رأسنا هذه المرة.

★★★

عاش إيهاب أياما ورأسه مثقل بما يدور فيه من أفكار. كان يبحث عن موضوع يصلح للخطابة.

فالمباراة حرة، ليست محددة بموضوع خاص.

ولأن أخته منار ملأت قلبه ووجدانه، وأصبحت مصدرا للدفء والأمان والسعادة فإنه فكر فى أن يكون عنوان مقالته "رسالة إلى أختي".

وقال لمحفوظ: ما رأيك فى أن تكون مقالتى بعنوان رسالة إلى أختي؟

وجم محفوظ قليلا، وسأل إيهاب: من سيلقى المقالة؟

Amly نهضة العرب

– حمدى.

– هل تظنه يوافق على إلقائها؟

– وما يمنعه؟

– التقاليد تمنعنا، نحن نكتب رسالة إلى أبي، إلى أمي، إلى أخي. لكن لا نفكر فى رسالة إلى أختي.

– هذا تفكير غريب.

– ما رأيك فى رسالة إلى معلمي؟

ردد إيهاب ببطء: رسالة إلى معلمي.

– نعم خاصة ونحن نحب الأستاذ زيتون.

– فليكن.

★★★

استمعت منار إلى إلقاء إيهاب للمقالة، ولاحظت أن صوته مازال يحتبس، وأنفاسه تتقطع، هذا بالرغم من أنه أصبح أفضل.

قالت له: المقالة جيدة، والفكرة ممتازة، فأنت تطلب من المعلم أن يكون أبا ورائدا وصديقا وموجها وأن يخاطب قلبك وعقلك، وهو يشرح درسه ويلجأ لأمثلة من واقع التلاميذ، ويشركهم فى البحث والإعداد للدرس ويوجههم للأفكار المكونة للموضوع. كل هذا جميل، ولكن أين واجب التلاميذ نحو المدرس؟ لكى يكتمل الموضوع.

هذه نقطة، والنقطة الثانية، أريدك أن تحفظ مقالتك.

– أحفظها؟

– نعم، حفظها سيساعدك على إلقائها بيسر.

– حمدي... هو من سيلقيها.

– المهم أن تتعلم أنت طريقة الإلقاء الصحيحة.

وجاء محفوظ، فهللت بمنار لرؤيته، وقالت له: أريدك أن تساعد إيهاب فى حفظ مقالته.

– أنا؟! كيف؟

– سيخبرك إيهاب.

كل يوم يذهب إيهاب مع محفوظ إلى حقل مجاور، وفى منطقة خالية من المارة، يتخيل إيهاب أنه يلقى خطبته للجمهور، ويلقيها لمحفوظ، ويحرص على التنفس قبل كل جملة.

وحفظها جيدا.

فى الفصل سأله الأستاذ زيتون: هل كتبت الخطبة؟

– نعم.

مر ضوء عينيه على السطور، وابتسم، وقال: إنها خطبة جيدة، سأراجعها وأعطيها لحمدي.

ثم سأل عن التلميذ المشترك فى إلقاء الشعر، فأعطاه وائل مساهمته.

قال الأستاذ: بعد غد ستكون المباراة بين فصلنا وفصل أولى ثاني، أرجو لكم التوفيق.

★★★

المدرسة تزدان لاستقبال المدعوين والتلاميذ.

فاليوم هو يوم الاحتفال والمسابقات، وحرص الأستاذ عبد الغفار ناظر المدرسة على دعوة مأمور المركز والضباط والأطباء كما حرص على أن يكون فى مقدمة المدعوين عبد الرحيم باشا العوامرى وأسرته والنائب الثانى جمعة وأسرته، ونظار المدارس والمدرسين وموظفى التموين والضرائب وكبار المحامين والتجار.

هذا بجانب دعوة المسئولين عن التعليم فى محافظة أسيوط.

★★★

فتح محفوظ باب الفصل ودخل.

فوجئ بفيصل يقف عند درج التلميذ حمدى المكلف بإلقاء الخطبة التى كتبها إيهاب.

رأى محفوظ علامات الارتباك تتقافز فى وجه فيصل الذى نكس وجهه خجلا.

سأله محفوظ وهو متردد: ماذا تفعل هنا؟

بصوت مرتعش قال فيصل: أنت مازلت هنا؟!

- ماذا تعني؟ والأهم ماذا جاء بك إلى فصلنا؟

- جئت أبحث عن... أين محمد وفدي؟

- محمد وفدى يقف مع التلاميذ المنظمين للحفل.

- أسرع فيصل للخروج، وهو يرمق محفوظ بنظرات غريبة.

★★★

ما إن رآه معاون المدرسة (فهمى أفندي) حتى اقترب منه، ووضع يده على كتفه، وقال له بصوت هامس ممتلئ بالشفقة: جاءتنى مكالمة تليفونية تفيد إصابة جدتك فى حادث.

انفجر محفوظ فى البكاء، وترددت كلمة جدتي... جدتى من خلال بكائه وجرى محفوظ، واختفى من الملعب، ونظرات فيصل تتعقبه وابتسامة خبيثة على شفتيه.

★★★

بدأت مباراة كرة السلة، وبحث الجميع عن محفوظ، وخاصة الأستاذ زيتون الذى سأل إيهاب عنه، وطالبه بإيجاده.

سجل فريق أولى ثانى أول أهدافه. عرف إيهاب من أحد التلاميذ أنه رأى محفوظ يغادر المدرسة باكيا بعد أن تحدث معه فهمى أفندي.

عرف إيهاب بمضمون المكالمة من المعاون.

جرى إيهاب إلى أخته طالبا المعاونة.

ذهبت منار إلى عبد الرحيم باشا، وأسرت إليه ببعض الكلمات أمر الباشا سائقه أن يأخذ إيهاب إلى بيت محفوظ ويعود به بسرعة.

جرى محفوظ نحو إيهاب عندما رآه، وأخبره بأن هناك مكيدة، فقد اتصل شخص بمعاون المدرسة وأخبره بحدوث مكروه لجدتي، وذلك لإبعادى عن الفريق.

هتف إيهاب: فيصل... لا يوجد غيره.

قال محفوظ: نعم إنه هو... فقد رأيته فى فصلنا.

وقال لي: أنت مازلت هنا.

ولم أفهم وقتها.

★★★

عند عودتهما كان الوقت الثاني من المباراة، قد بدأ منذ قليل، صاح الأستاذ زيتون: هيا يا محفوظ، أولى ثانى منتصرة، ونحتاج لمعجزة.

مجيء محفوظ بعث الحماس فى فريقه، وبدأ يسجل فى الأهداف حتى أنه حقق التعادل فى نهاية الشوط.

وحقق الفوز فى الوقت الإضافى مما أسعد الأستاذ زيتون،

وجعل الأستاذ «ملاحظ» يشعر بالغيظ.

وجاء وقت مباراة الخطابة. ووقف خطيب أولى ثانى وكان هو فيصل، وصفق أبوه وصفق أخوه حسنى، وصفق الأستاذ «ملاحظ».

وألقى فيصل كلمته متحدثا عن الأمانة والتلميذ الأمين ثم جاء دور حمدى خطيب أولى ثالث الذى كان يقف بجوار الأستاذ زيتون، ووجهه مصفر، ويرتجف انفعالا، ويبحث فى ملابسه، والأستاذ زيتون مشدود الأعصاب، ويقول لحمدي: ألم تقرأ الخطبة؟

– بلى، ولكنى لا أتذكرها كما يجب.

– ستتذكرها... هيا اذهب وارتجل.

- لا أعرف.

شعر الأستاذ زيتون بحرج الموقف، وطافت نظراته فى كل مكان حتى استقرت على إيهاب، وأشار له بالحضور.

وقال له: إيهاب، هل تتذكر الخطبة التى كتبتها؟

- إنى أحفظها.

- اذهب، وألقها.

- أنا يا أستاذ؟

- نعم أنت.

- لا أستطيع.

- لماذا؟

- أنت تعرف أنى أقطّع فى الكلام.

جاءت منار فى هذه اللحظة، وقالت لأخيها: هون على نفسك يا أخي، وتنفس بعمق قبل الإلقاء، ثم أنت حفظتها وألقيتها كثيرا، فتوكل على الله، واطلب منه النجاح والتثبيت، وانطلق، وثق أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا وتقدم الأستاذ زيتون، ومعه إيهاب إلى مكبر الصوت. قال الأستاذ زيتون: الآن نقدم لكم نابغة أولى ثالث وخطيبها المفوه؟ إيهاب إسماعيل فى كلمة مميزة سيرتجلها ارتجالا.

صفقت منار، ومحفوظ، وكان الأستاذ إسماعيل أكثر الحاضرين تصفيقا. تنفس إيهاب بعمق، وحاول الابتسام كما أوصته منار وبإرادة حديدية سيطر على انفعالاته، وبدأ بسم الله الرحمن الرحيم صاح فيصل: تهته، وصاح آخرون تهته.

همس إيهاب لنفسه "سترون... من هو تهته".

وقال، وهو ينظر إلى الأستاذ زيتون: "هذه الكلمة موجهة لأستاذى العزيز عبد الوهاب زيتون لأنه نعم الأستاذ ونعم المعلم" ارتفعت الأكف بالتصفيق. صوت التصفيق ملأه بالثقة، ورفعه إلى سحابة عالية... فشعر بثقة تهزم كل عائق، وتستهين بكل عوامل الإحباط.

فقال بهدوء وصوت واضح "عنوان الكلمة "رسالة إلى معلمي".

وانساب صوته هادرا ومؤثرا، انخفض لدرجة الهمس فى بعض المناطق، وسرى كالنسيم فى مناطق أخرى، وأصبح ثائرا كالعاصفة فى مناطق أخرى. وما إن انتهى حتى انفجر الحضور بالتصفيق والتشجيع لهذا التلميذ الهزيل الذى يمتلك كل هذه الفصاحة، والقدرة الهائلة على التأثير.

وبكت منار من الفرح، وهى ترى أخاها كأنه يولد من جديد.

★★★

عاش إيهاب يوما سعيدا، ونام نوما هادئا.

وفى الصباح وجد فراشه نظيفا، واستعد للذهاب إلى المدرسة.

★★★

فى طريقه للمدرسة كان محفوظ يشعر بنسمات الصباح كأنها أنامل رقيقة تعزف على أوتار قلبه، وخطواته تصعد به إلى دنيا بهيجة ممتلئة بالأزهار والعصافير الملونة وتراتيل الملائكة، النجاح ملأه بالفرحة والثقة والتفاؤل. شعر كأن القيود التى تقيد إرادته قد تحطمت، ولا شيء يعوقه عن إحراز النجاح فى أى مجال.

رنين جرس عجلة يلح على أذنه بدقات مزعجة. التفت فرأى فيصل يقترب بعجلته كثيرا، وكأنه يتعمد أن يصدمه بها.

ثارت دماؤه، وتذكر موقف فيصل عندما دخل عليه وراه مرتبكا فقد تأكد أن فيصل سرق الخطبة من حقيبة حمدي، شعر باحتقار لفيصل، فأمسك دراجته بقوة.

وقف فيصل، وقال غاضبا: ماذا تفعل يا أبله؟

فوجئ التلاميذ الذين تجمعوا بمحفوظ يسقط العجلة، ويمسك فيصل من قميصه بقوة، ويقول له: أنت لص.

– ماذا تقول؟!

– أنت لص، وقد رأيتك وأنت تفتح حقيبة حمدي، ولم أكن أعرف أنك سرقت "الخطبة" لتوضع فصلنا فى موقف حرج.

– أنت كاذب، وأنا لم أفعل ذلك.

– سأبلغ الناظر عنك، ونرى من الكاذب.

حاول فيصل أن ينهى هذا الموقف الحرج فصفع محفوظ، وهو يرجمه بكلمات بذيئة، فصفعه محفوظ صفعة أسقطته أرضا، تجمع التلاميذ مشدوهين لما يرون، وحاول فيصل استرداد كرامته، فوقف ووجه لكمة قوية لمحفوظ، فشعر محفوظ برغبة قوية فى تحطيم كبرياء هذا الولد فصفعه، وأسقطه أرضا وركله وسط ذهول التلاميذ.

فى هذه اللحظة توقف حنطور، ونزلت منه منار وإيهاب، وهمّ محفوظ بتوجيه لكمات أخرى لفيصل "طريح الأرض" لكن منار أمسكت بيده، وقالت له: كفى يا محفوظ، إنه فيصل ابن عمي.

– ماذا تقولين يا أبلة؟!، إنه هو من ضرب إيهاب من قبل وهو الذى سرق الخطبة.

– كفى يا محفوظ، هيا اذهب مع إيهاب إلى المدرسة. واتجهت إلى فيصل "الذى شعر بمهانة شديدة فانخرط فى البكاء" لكن منار قالت له: أنت رجل، والرجال لا يبكون، نظف ثيابك، واذهب إلى المدرسة.

أخذته منار معها فى الحنطور، وتحدثت معه حديثا هادئا وقالت له: أنت ابن عمي، والظفر لا يخرج من اللحم، وأنا أنتظر لك مستقبلاً كبيرا لأنك ذكى ومتعدد المواهب، فقد استمعت لخطبتك، ورأيتك وأنت تلعب كرة السلة، وأنت زعيم الفصل.

الباقى أن يكون سلوكك فى مستوى ذكائك.

شعر فيصل بتيار من الخجل يسرى فى داخله لم يعهده من قبل، وهذا التيار يربطه بمنار، فنظر إلى عينيها فرأى نظراتها تحضنه وتربت على جراحه وتلملم كبرياءه فسالت دموعه، ورقت ملامحه.

★★★

جاء الفراش عبد الله، وقال: فيصل مطلوب عند حضرة الناظر.

تقلص قلب فيصل ساحبا كل الدماء من وجهه

وشعر الأستاذ «ملاحظ» بشيء ثقيل يقف فى صدره.

★★★

فى حجرة الناظر وجد فيصل محفوظ هناك فتأكد من ظنونه وقال للناظر: أنا لم أسرق شيئا.

– هناك أكثر من تلميذ رآك، وسأستدعى والدك حضرة النائب ليرى ابنه.

– أنا لم أفعل ذلك من نفسي.

– هل هناك من حرضك؟

– نعم.

طلب الناظر من محفوظ الخروج، وأغلق باب الحجرة، وسأل فيصل هامسا: هيا قل... من الذى حرضك؟ وإياك والكذب فأنا أعرف من تقصد أليس هو...

– نعم هو الأستاذ ملاحظ.

– لا عليك كنت أعرف، لكن كيف حرضك؟

– سمعته يقول، ليتنا نعرف الخطبة الخاصة بـ أولى ثالث.

فقلت له: إنها موجودة فى حقيبة حمدى.

فقال: وكيف نأخذها، وهى فى الحقيبة؟

وشعرت أن هذا تحريض.

– لا، أنت كنت تريد أخذها لكى لا يتفوقوا عليك.

– نعم.

★★★

حدث تحقيق كبير مع الأستاذ «ملاحظ» فى وقائع كثيرة وثبت عدم صلاحيته للتدريس، فأحيل لعمل إدارى فى مكتب التربية والتعليم فى أسيوط.

★★★

نهضة العرب

Amly

٢٨- النهاية

تم توزيع شهادات النجاح على تلاميذ أولى ثالث.

وكان ترتيب إيهاب الأول، ومحفوظ الثانى عشر.

هنأ الأستاذ زيتون تلاميذه بنجاحهم وانتقالهم للصف الثانى الإعدادي، وتمنى لهم مستقبلا زاهرا.

وقال لهم: قد لا أراكم فى العام القادم، لكنكم ستسكنون فى قلبى طوال العمر.

الشيء المحير أن صوته كان حزينا، وهو يقول ذلك.

★★★

أعدت منار حقيبة ملابسها، وأبوها يحاول أن يثنيها عن إرادتها بدون فائدة، فقد أصرت على الذهاب إلى القاهرة لمراجعة السفارة الكويتية، وتجهيز أوراقها للسفر إلى هناك.

قال الأب: سأجد طريقة للتخلص من حسنى وأبيه.

قالت منار: أنا اطمأنيت على إيهاب ومحفوظ، ووضعت نهى على بداية الطريق، والأفضل لى وللجميع البعد عن هنا لبعض الوقت.

صوت جرس الحنطور أعلن وصوله أمام البيت.

منار فى طريقها لركوب الحنطور ومعها إيهاب وأبوها ومبروكة تحمل الحقيبة.

وقبل أن يتحرك الحنطور ظهر حسني، وجاء جريا وسأل بصوته الغليظ: ما هذا؟! إلى أين؟!

صاحت منار: تحرك يا أسطى.

صاح الحوذي: شى.

لكن حسنى أمسك الحصان صائحا: انتظر يا رجل.

ثم نظر إلى منار وسألها: إلى أين يا عروس؟

– هذا شيء لا يخصك.

– وما هذه الحقيبة؟

صاحت منار: تحرك يا أسطى.

صاح حسنى بصوت منفر، وغيظ شديد:

– قلت لن يتحرك أحد، هيا انزلي.

تصدى والد منار له، وجسده كله يهتز

– اصمت يا حسني، وابتعد من هنا، فنحن لا نريدك أنت أو أبوك.

وكان العم جمعة يستمع فقد أتى وسأل: ماذا تقول؟

– ما سمعت، لا نريدك أنت أو ابنك.

– أنا لى تصرف آخر.

– افعل ما تريد.

★★★

شعرت منار أن قوى خانقة تعصر روحها.

لكنها امتلكت إرادتها، وقررت أن تحرر أباها من أغلال هذا العم، وألا يفرض عليها أحد نوع حياتها. فكرت فى أن تستعين بالباشا فى تخليص أوراقها والسفر مع أبيها وأخيها إلى الكويت، وترك كل شيء لهذا العم الجشع، أو عليها أن تبحث عن طريق لتسديد ديون أبيها المشكوك فيها، وتحرير البيت على الأقل.

غرقت منار فى دوامة من الأفكار المتداخلة.

وانتبهت على صوت خطوات صغيرة تجرى نحوها، وصوت ضحكات كرنين جرس صغير.

– منار... أبلة منار.

نهى تجرى نحوها، وهى تقطر فرحا وحبا.

رمت نهى بنفسها فى حضن منار، فقبلتها منار مرارا، قالت نهى وهى تطوق رقبة منار: احكى لى حكاية قطر الندى والأقزام السبعة.

– فى يوم آخر يا نهى.

قالت نهى بعناد ودلال: لا، الآن، أريد الحكاية الآن.

– لا أستطيع.

– أريد الحكاية.

وبدأت نهى تتعصب، وتضرب الأرض بقدمها فنادت منار إيهاب.

جاء إيهاب ومحفوظ، قالت منار لهما: خذا نهى إلى السائق، ودعوه يعود بها، فأنا فى حالة لا تسمح لى بالعمل معها.

– تعالى يا نهى.

– لا.

قالت منار: اذهبى معهما.

– أنت وحشة.

قبلتها منار وقالت: أنت حلوة، اذهبى معهما.

– لن أذهب.

– خذها يا محفوظ.

حملها محفوظ، فصرخت، وأخذت تضربه، وهى تبكي.

اقترب محفوظ من سائق السيارة الذى يشرب الشاي، وقال له: افتح الباب يا أسطى.

أسرع السائق بفتح الباب، وهو يتساءل: ماذا حدث؟

أجابه إيهاب: أبلة منار مريضة ولا تستطيع تعليمها اليوم.

هز السائق رأسه قائلا: آه... فهمت.

تحركت السيارة، وهى تحمل نهى، وإيهاب، ومحفوظ.

★★★

انطلقت دموع نهى وهى ترتمى فى حضن أبيها وتغمغم: منار وحشة... منار وحشة.

والأب يقبلها، ويربت على ظهرها، ويقول لها مهدئا:

- فعلا منار وحشة... ماذا فعلت؟

- لا تريد أن تحكى الحكاية.

- حكاية ماذا؟

- قطر الندى.

- سأحكيها لك أنا.

- أنت لا تعرف.

- اصعدى لأعلى... واغسلى وجهك، وسنذهب معا إلى مكان جميل.

تحركت نهى، وهى تبكى وتنهنه، وهى تنادى ماما... ماما.

وسمع صوت الأم وهى تجاوبها: نعم يا حبيبتي.

تنهد، ونظر إلى محفوظ وإيهاب، وسألهما:

- ماذا حدث؟ وما هى مشكلة منار؟!

★★★

أصر الباشا على أن يأخذ الصبيين معه فى سيارته الفاخرة. والاثنان فى حالة اضطراب وخجل.

وقفت السيارة أمام بيت منار.

خرج الأستاذ إسماعيل يرحب بالباشا، ودعاه للدخول فى الصالون، استمع الباشا إلى قصة الأستاذ إسماعيل مع أخيه، ثم طلب منار، واستمع إليها جيدا، ثم سألها: هل تقبلين الزواج من حسنى؟

- لا يوجد أى تكافؤ علمى أو نفسى بيننا.

- إنه ابن عمك.

- هذا أدعى للرفض فسعادتك تعرف مضار زواج الأقارب.

ابتسم الباشا، فكل إجابات الأستاذة تدل على وضوحها وقوة شخصيتها.

وسألها: هل لى أن أتطفل وأعرف هدفك بالضبط.

- تعليم نهى، والحصول على الماجستير.

- فقط؟

- لا أعرف ماذا تقصد؟

- ومسألة الزواج.

- سأفكر فيه عند ظهور الشاب المناسب.

- ما رأيك فى الأستاذ زيتون؟

ابتسمت منار، وابتسم الباشا عند رؤيته ابتسامتها وقال لها: اطمئني، سأحل كل الأمور إن شاء الله.

★★★

استقبله النائب جمعة وابنه حسنى فى "المندرة".

تنحنح الباشا، وقال لجمعة: أريد أن أتحدث معك كلمتين على انفراد.

خرج حسنى مغتاظا، ولم يبتعد كثيرا عن الباب مرهفا سمعه.

بدأ الباشا حديثه مع النائب جمعة عن صفقاتهما معا، وكأنه يذكره بأسباب ثرائه، ثم عرج إلى المشاكل بين الأخوين، واستفاض النائب جمعة فى ذكر مآثره على أخيه ووقوفه بجانبه فى أزماته.

فسأله الباشا بوضوح: وهل هذا مبرر ليتزوج حسنى الجاهل من منار المتعلمة؟

- إنها ابنة عمه.

ردد الباشا جملة منار: هذا أدعى لعدم زواجهما، ثم الزواج فى أصله رضا وقبول.

شعر حسنى بضيق، وهو يستمع لكلام الباشا، واندفع للداخل قائلا بغضب: سأتزوجها رغما عنها.

نظر الباشا إلى النائب جمعة، كأنه يقول له:

– هل يعجبك هذا التصرف.

وقف جمعة وصاح فى ابنه غاضبا:

ـ اخرج من هنا أيها الأحمق.

خرج حسني، وهو يدمدم بالكلام.

وجلس الأب، وهو يقول كلاما كثيرا كله اعتذار عن سلوك ابنه.

صمت الباشا قليلا، ثم التفت إلى جمعة وقال بلهجة حاسمة: أمر منار يهمني، ولا أريدك أنت أو ابنك التعرض لها.

قال الرجل، وكأنه يعتذر، أو يؤكد معنى ما:

– منار ابنة أخي.

– استمع إليّ، ولا تقاطعني.

– اتفضل.

– ديون أخيك أنا سأسددها، وتعطيني الأوراق التى معك، وسنعمل محضر صلح بينكما يوضح أنك غير دائن له.

– والأرض؟

– تعود إليه، إنها إرثه يا جمعة، هل تريد أن تستحوذ على كل شيء.

أطرق جمعة ممتثلا، فهو لا يستطيع أن يقطع أسبابه بأسباب الباشا.

سأله الباشا: هل عندك اعتراض على شيء؟

– لا أستطيع أن أرد لك طلبا يا باشا.

– اتفقنا، هات أوراقك فخير البر عاجله.

★★★

- أبلة منار... أبلة منار.

فردت منار يديها استعدادا لاحتضان نهى التى جرت نحوها كعصفور تعلم الطيران.

حضنتها منار وقبلتها.

قالت نهى: احكى لى حكاية قطر الندى.

- سأحكى لك قطر الندى، وست الحسن، والسندباد، وسأعلمك كل شيء يا وجه الخير.

تمت والحمد لله

م/ علي ماهر عيد

رواية الهلال تقدم

بلد المحبوب

بقلم
يوسف القعيد

يصدر ١٥/١٢/٢٠٠٩

رئيس مجلس الإدارة
عبد القادر شهيب

رئيس التحرير
عادل عبد الصمد

Amly نهضة العرب

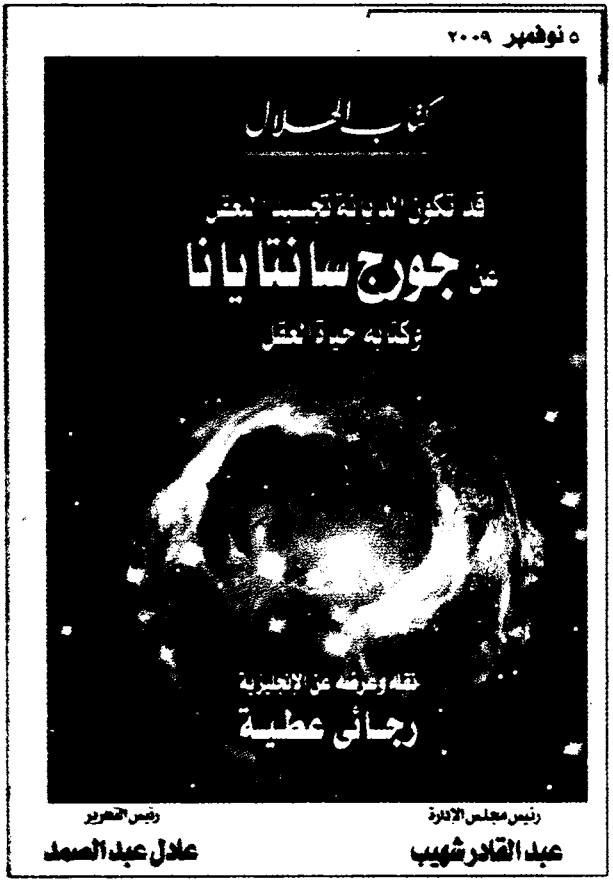
٥ نوفمبر ٢٠٠٩
كتاب الهلال
قد تكون الديانة تجسيد العقل
عند جورج سانتايانا
وكذبه حيرة العقل
نقله وعرضه عن الانجليزية
رجائى عطية
رئيس مجلس الادارة
عبد القادر شهيب
رئيس التحرير
عادل عبد الصمد

١٥ أكتوبر ٢٠٠٩
رواية الهلال
البحر أمامها
محمد جبريل
رئيس مجلس الإدارة
عبد القادر شهيب
رئيس التحرير
عادل عبد الصمد

على ماهر عيد

المؤلف

على ماهر عيد

★ مهندس تعدين عام ١٩٦٧م.
وكاتب روائى.

١ ـ فازت روايته (أشياء لاتموت) بجائزة الرواية، عام ١٩٧٤ فى المسابقة القومية للرواية.

٢ ـ فازت روايته (المجد الدامى) بجائزة نادى القصة عام ١٩٩١م.

٣ ـ فازت روايته (حازم والقلوب الخضراء) بجائزة الدولة القطرية للرواية عام ٢٠٠٨م.

٤ ـ اتجه للكتابة للأطفال فنشر أكثر من ٥٠٠ قصة مصورة وسردية ومسلسلة فى مجلات «علاء الدين» و«ماجد» و«باسم» و«قطر الندى».

٥ ـ له ٥ كتب روايات فرعونية فى سلسلة روايات الهلال للأولاد والبنات.

٦ ـ له كتابان أدبيان (عبدالله النديم، إبراهيم الرفاعى) من المجلس القومى للشباب.

٧ ـ له روايتان رومانسيتان عن سلسلة زهور.

٨ ـ له سلسلة روايات خيال علمى عن دار الندوة.

٩ ـ رواية للأولاد (رجال الصحراء) هيئة الكتاب.

١٠ ـ مجموعة للأولاد (سوبيا رمضان) هيئة الكتاب.

١١ ـ مجموعتان (مجلدان) لقصص للأطفال عن دار الفكر العربى.

★ رواية (الأستاذة منار)

«منار» مدرسة علم نفس فى الصعيد، فى بداية عصر الانفتاح، تواجه مشكلة أخيها الذى يعانى إعاقة جسدية، وصديق له بطىء الفهم طيب القلب، وظروفه الاجتماعية صعبة.

ثم تتجمع خيوط الرواية عند طفلة صغيرة تعانى مرض التوحد، وتعانى جفاف العاطفة.

كيف تواجه الأستاذة «منار» هذه الشخصيات؟ وكيف تهتم بها؟. وكيف تقودها إلى شاطئ الصحة النفسية.

إنها رواية ممتلئة بالخبرات الحياتية والعلمية، منسوجة خلال مشاعر رقيقة مرهفة، فى حبكة درامية زاخرة بالعواطف، والمواقف المؤثرة.

هذه الرواية إضافة قوية للروايات الأدبية والنفسية والدرامية.

وستقضى معها وقتاً ممتعاً ومفيداً.

نزار.. فارس العشق

بين الغياب والحضور

رئيس مجلس الادارة
عبد القادر شهيب

رئيس التحرير
عادل عبد الصمد

Amly
نهضة العرب

روايات مصرية للجيب

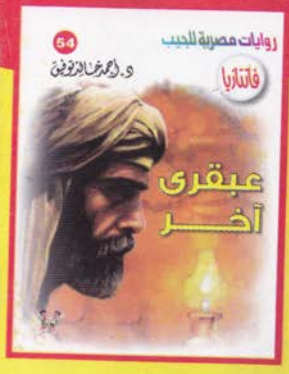

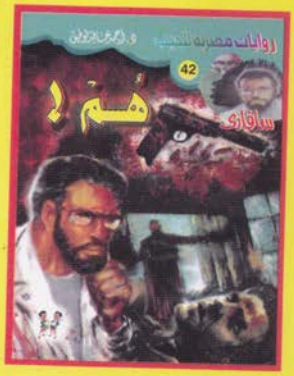

أفضل ما أصدرته المطابع المصرية من إبداعات الروائيين المصريين الشبان

أضخم وأقوى مشروع ثقافى يقبل عليه القراء فى العالم العربى بشوق ولهفة وإعجاب

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع 10 ، 16 ش كامل صدقى الفجالة ، 4 ش الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة - القاهرة - ت : 26823792 - 25928202 - 22586197
فاكس - 202/25966650 ج.م.ع ، 4 ش بدوى محرم بك - الإسكندرية ت : 03/4970840 - 03/4970850

Amly
نهضة العرب